سِلْسِلَةُ رَسَائِلِ راحَةِ الأَرْوَاحِ

المجموعة الأولى [1 - 5]

الرسالة الرابعة

تَشْـــوِيقُ القُلُـــوبِ

إِلَى ذِكْـــرِ عَـــلَّامِ الغُيُـــوبِ

مَفْهُومُ ذكر الله وفَضَائلُه و أنواعُه وكيفية الخشوع فيه و أَثَرُهُ في تَزْكِيَةِ النَّفْسِ
وَفَوائِدُه في الدنيا والآخرة

تأليف
راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ

الدكتور: أحمد خضر حسنين الحسن


بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استفتاح

قال الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا.

سورة الأحزاب (41-43)

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن قال النبي صلى الله عليه وسلم:

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعمَالِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى . رواه الإمام مالك في الموطأ والإمام أحمد في مسنده .

يقول ابن الجوزي عليه رحمه الله تعالى :

تفكرتُ في سببِ هدايةِ مَن يهتدي و انتباه مَنْ يتيقَّظ مِن رقادِ غفلتِه فوجدتُ السببَ الأكبرَ اختيارَ الحقِّ عزَّوجل لذلك الشخص .

صيد الخاطر

المحتويات

المقدمة

اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كُلُّهُ، وإلَيْك يَرْجِعُ الأمْرُكُلُّهُ، عَلانِيَتُهُ وسِرُّهُ. فَحَقٌّ أنْتَ أنْ تُعْبَد، وحَقٌّ أنْتَ أنْ تُحْمَد، و أنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديْراللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كالَّذِي تَقُولُ، وخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ بِجَمِيْعِ المَحَامِدِ كُلِّهَا.

اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ كَمَا حَمِدْتَ نَفْسَك في أُمِّ الكِتَابِ والتَّوْرَاةِ والإِنْجيْلِ والزَّبُورِوالفُرْقَان اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ أَكْمَلُهُ، ولك الثَّنَاءُ أجْمَلُهُ، ولك القَوْلُ أبْلَغُهُ، ولك العِلْمُ أحْكَمُهُ، ولك السُّلْطَانُ أقْوَمُهُ، ولك الجَلالُ أعْظَمُهُ .

اللَّهُمَّ لك الحمْدُ حَمْدًا يملأُ المِيْزان، ولك الحَمْدُ عَدَدَ ما خَطَّهُ القَلَمُ وأحْصَاهُ الكِتَابُ ووَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ اللَّهُمَّ لك الحمْدُ على ما أعْطَيْتَ ومامَنَعْت، وما قَبَضْتَ وما بَسَطْتَ اللَّهُمَّ لك الحَمْدُ على كُلِّ نِعْمَةٍ أنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا في قَدِيْمٍ أوْ حَدِيْثٍ، أوْ خاصَّةٍ أوْ عَامَّةٍ أوْ سِرٍ أوْ عَلانِيَةٍ او حي او ميت او شاهد او غائب .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الذاكرين والخاشعين و أفضل الحامدين لله المنعم المتفضل على العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : هذه هي الرسالة الر ابعة من سلسلة راحة الأرواح بعد ثلاث سبقتها وكانت وموضوعاتها : معرفة الله ومعرفة النفس ومعرفة العبادة ، ليكون الذكر أول العبادات التي يوليها المسلم عنايته ورعايته، إذ هو من أفضل نو افل العبادات وذلك لكثرة الآيات الواردة في بيان فضله والحث على الإكثار منه كما ستراها في المبحث الثاني - إن شاء الله تعالى - ولِمَا ورد في الحديث الذي رواه الإمام مالك في الموطأ والإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعمَالِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : ذِكْرُاللَّهِ تَعَالَى) .

ومع شهرة فضائل الذكر وكذا تلاوة القرآن الكريم إذ هو أفضل أنواع الذكر إلا أن الناظر في حال المسلمين مع معهما يجد أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : فئة تكثر من تلاوة القرآن والذكر بظواهرهم وبواطنهم : أعني أنهم مع كثرة الذكر اللساني لهم نصيب من الخشوع والحضور القلبي ، وهؤلاء هم قلة ، لا تكاد ترى في المسجد الجامع الرجل والرجلين وهؤلاء من **القليل الذين أشار إليهم** النبي صلى الله عليه وسلم ، بقوله : (أول

شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع ، حتى لا ترى فيها خاشعا)[1] ، وقد يظن البعض أن المراد بالخشوع هنا الخشوع في الصلاة ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يذكرها ؛ فيعم ذلك الصلاة والتلاوة والذكر ، والله أعلم .

وهذه الفئة فازت بعظيم الأجر مع حصول تزكية نفوسهم وترقيها في مدارج الكمال ، كما قال تعالى : (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**) سورة الجمعة (3) .

فكان أثر تلاوة القرآن فيهم (**وَيُزَكِّيهِمْ**) بأن يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان ويحثهم على الأخلاق الفاضلة، ويفصِّلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة ويحذِّرهم من مغبَّتها ، فبتدبُّرِهم وخشوعِهم وصلوا إلى كمال الانتفاع والارتفاع [2].

وأما ذِكْرُهم لله تعالى المتلئ بالخشوع فقد كان سببا في فوزهم بصلاة الله عليهم وهذا يعني إخراجهم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ومن سيئ الأخلاق إلى محاسنها ، كما قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**) سورة الأحزاب (41-43) .

*** *** ***

القسم الثاني : فئة تكثر من تلاوة القرآن والذكر بظواهرهم دون بواطنهم :

وهؤلاء تجد أحدهم جلَّ همِّه واهتمامِه أن يحسب لنفسه عدد الختمات في كل شهر ، بينما يغفل غفلة تامة عن أن يكون لقلبه حظه من الحضور أو لعقله من التدبر أو لعينه من البكاء هذا في جانب التلاوة .

وأما في جانب كثرة ذكره لله تعالى : فجلُّ همِّه أن كم ألف سبَّح أو هلَّل أو حمد أو استغفر ، أو كم صلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويفرح بتلك الأعداد الكبيرة ، والآلاف المؤلفة من الأذكار ، وربما حدَّث بها الناس حتى يعرفوا أنَّ فلانا يسبِّح في اليوم كذا وكذا ألف تسبيحة أو كذا وكذا ألف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن لو سألته كم مرة خشع قلبك أو كم ساعة اشتقت

1- قال الهيثمي في المجمع 136/2: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن وصححه للألباني صحيح الترغيب رقم 543 .

2- تفسير القرطبي والسعدي - بتصرف .

فيها للقاء ربك؟ فإنه سيهرش رأسه ويلتفت يمنة ويسرة وسيهمهم بكلمات .. وفي نهاية الأمر لن تجد منه جوابا واضحا .

فهؤلاء قلَّ أن يكون لذكرهم وتلاوتهم نفع في تغيير حياتهم وتزكية نفوسهم أو أن يكون لها جدوى في تعظيم أجرهم وثوابهم .

*** *** ***

القسم الثالث : فئة قلَّتْ تلاوتهم للقرآن وضعف ذكرهم لله إلا ما كان فرضاً :

وهذه الفئة هي التي حُرِمَت شرف تلاوة القرآن وحركة اللسان بذكر الرحمن فكانت غفلتهم سببا في عدم زكاة نفوسهم وتحسين صلتهم بربهم فلم ينتفعوا بذكر ولا تلاوة ، وأظن أنَّ غالبية هؤلاء عندهم خلل في كسبهم إما شبهة أو حرام واضح .

وهؤلاء الغافلون عن ذِكر الله فقدوا حظَّهم من الحياة الحقيقية، وأضاعوا نصيبهم من ثواب الله الوفير، وقد وصف الله حالهم فقال تعالى **(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)** سورة الزخرف (36) أي وكَّل به الرحمن شيطانا مريدا، يقارنه ويصاحبه، ويَعِدُه ويمنّيه، ويؤزُّه إلى المعاصي أزّاً .

وقد شبَّه النبي صلى الله عليه وسلم حال الغافلين بأسوأ مثال ، حيث قال : (ما من قومٍ يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله فيه؛ إلاَّ قاموا عن مثل جيفة حمار! وكان لهم حسرة) رواه مسلم. **فهذا مثل ضربه النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأولئك الذين يجتمعون لغير ذكر الله تعالى، وهو تنفيرٌ شديدٌ عن مجالس الغفلة، والتي يخوض أهلها في اللغو من القول .**

من هنا جاءت هذه الرسالة لعلها ترفع همماً سفلت أو تحي قلوباً ماتت أو تنبّه نفوساً عن ربها غفلت ، ولذا سميتها : تَشْـوِيقُ القُلُـوبِ إِلَى ذِكْـرِ عَـلَّامِ الغُيـوبِ

هذا واللهَ الكريمَ أسأل أن ينفعني بهذه الرسالة وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم وأن تكون سبباً في مغفرة ذنبي ورفع درجتي في الجنة وأن يفعل ذلك بالقارئ الكريم والقارئة الكريمة وجزى الله خيرا كل من قرأها أو نشرها أو دل عليها .

راجي رحمة ربه ذي المِنَنْ : أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

ربيع الأول – 1442 / نوفمبر – 2020

تمهيد

طائفة من أقوال السلف الصالحين والعلماء الربانيين حول الذكر

لقد وردت آثار كثيرة تبين اهتمام السلف ومن جاء بعدهم بالذكر سواء كان من ناحية الإكثار منه في ليلهم ونهارهم أو حث الناس على ذلك ، ومن تلكم الآثار ما يأتي وعلى كل حال[3] .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر ؛ فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها، **فقال عز من قائل:(فاذكُروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جُنُوبِكُم)** [النساء: 103].

وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) [الأحزاب: 41] أي بالليل والنهار، وفي البر والبحر، والسفر والحضر، والغنى والفقر، وفي الصحة والسقم، والسر والعلانية وعلى كل حال .

قال أبي هريرة رضي الله عنه : إن أهلَ السماء ليرَون بيوتَ أهلِ الذكر تُضيءُ لهم كما تضيء الكواكبُ لأهلِ الأرض. وكان رضي الله عنه يسبح في كلِّ يوم اثنى عشر ألف تسبيحة؛ ويقول: أسبح بقدر ديتي.

ووصف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً الصحابة ، فقال : كانوا إذا ذكروا الله مادُوا كما يميد الشجرُ في اليوم الشديد الريح ، وجرت دموعهم على ثيابهم .

وكان بلالٌ رضي الله عنه كلَّما عذَّبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول : أحدٌ أحدٌ ، فإذا قالوا له قل : اللات والعُزَّى ، قال : لا أُحسنه.

ولسان حاله قول القائل :

يُراد مِنَ القَلبِ نِسيانُكُم　　وتَأْبَى الطِّباعُ على النَّاقِلِ

3- هذه الآثار منقولة من : حلية الأولياء - لأبي نعيم الأصفهاني ، وصفة الصفوة - لابن الجوزي ، وسير أعلام النبلاء - للذهبي، ومدارج السالكين والوابل الصيب – كلاهما لابن القيم ، وجامع العلوم والحكم – لابن رجب الحنبلي ، والزهد - للإمام أحمد، وموسوعة ابن أبي الدنيا ،ومفتاح الفلاح – لابن عطاء الله السكندري، وكتاب حياة السلف بين القول والعمل - للشيخ أحمد الطيار .

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل، أحب إلي من أن أحمل على جياد الخيل، في سبيل الله من بكرة حتى الليل.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : لأن أكبر مائة مرة أحب إلى من أن أتصدق بمائة دينار.

وعن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء - رضي الله عنه -: إن أبا سعد بن منبه أعتق مائة محرر، فقال: إن مائة محرر من مال رجل لكثير، وإن شئت أنبأتك بما هو أفضل من ذلك؟ إيمان ملزوم بالليل والنهار، ولا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله - عزَّوجلَّ.

وقال أبو بردة الأسلمي - رضي الله عنه -: لو أن رجلاً في حجره دنانير يعطيها وآخر ذاكرًا لله لكان الذاكر أفضل.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: قال رجل الحمد لله كثيرًا، قال: فأعظمها الملَك أن يكتبها حتى راجع فيها ربه - عزَّوجلَّ - قال: اكتبها كما قال عبدي كثيرًا.

*** *** ***

وقال عمر بن عبد الله رحمه الله تعالى - مولى غفرة بنت رباح اخت بلال - : إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم، لم يروا عملاً أفضل ثوابًا من الذِّكر، فيتحسَّر عند ذلك أقوام فيقولون : ما كان شيءٌ أيسر علينا من الذِّكر.

وقيل لعمير بن هانئ رحمه الله تعالى : ما نرى لسانَك يَفتُرُ، فكم تُسبِّحُ كلَّ يوم ؟ قال : مئة ألف تسبيحة [4]، إلا أنْ تُخطئ الأصابع ، يعني أنَّه يَعُدُّ ذلك بأصابعه .

وقال عبد العزيز بنُ أبي رَوَّاد رحمه الله تعالى : كانت عندنا امرأةٌ بمكة تُسبح كلّ يوم اثني عشرة ألف تسبيحة ، فماتت ، فلما بلغت القبر، اختُلِست من بين أيدي الرجال.

وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى : كثيراً ما يقول إذا لم يُحدِّث الناس بالعلم ، ولم يكن له شغل : سبحان الله العظيم ،فذكر ذلك لبعض فقهاء مكة،فقال : إنَّ صاحبكم لفقيه .

4- قد يستنكر البعض هذا العدد ونقول : هذا يدخل في الباب الكرامات التي هل خرق للعادة فليس من المستحيل عادة ولا شرعا أن يتمكن الإنسان من الذكر بهذا العدد ، فالله قادر على أن يبارك له في وقته فيوفقه لهذا العدد (إن الله على كل شيء قدير).

وكان يقول أيضاً : تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن ، فإن وجدتموها وإلا فاعلموا أن الباب مغلق .

وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى ينشد :

لا لأنّي أَنساكَ أُكثرُ ذِكرا ك ولكنْ بِذاكَ يَجري لِساني

وقيل لمحمد بن النضر رحمه الله تعالى : أما تستوحِشُ وحدَك ؟ قال : كيف أستوحِشُ وهو يقول : أنا جليسُ من ذكرني [5] .

كَتمتُ اسم الحبيب من العبادِ ورَدَّدتُ الصَّبابةَ في فُؤادي

فَوَاشَوقاً إلى بَلدٍ خَلِيٍّ لعلِّي باسم مَنْ أَهوى أُنادي

وكان عامةُ كلام ابن سيرين رحمه الله تعالى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده.

وكان المغيرة بنُ حكيم الصنعاني رحمه الله تعالى إذا هدأت العيون ، نزل إلى البحر، وقام في الماء يذكر الله مع دوابّ البحر.

قال ابن عطاء الله رحمه الله معلقا عليه : لأن كل قلب لا يعرف الله لا يأنس بذكر الله تعالى ولا يسكن إليه.

قلت : إذن فمدار الأمر على معرفة الله تعالى كلما قويت كلما كثر الذكر وقوي تعلق المؤمن به .

*** *** ***

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: يا غفول يا جهول! لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك؛ لمتَّ شوقًا إلى مولاك.

قال الرَّبيعُ بن خُثَيم رحمه الله تعالى : (أَقْلِل الكَلَامَ إلّا مِنْ تِسْعٍ: تَكْبيرٍ، وتهليلٍ، وتَسْبيحٍ، وتَحْمِيدٍ، وسُؤَالِكَ الخَيرَ، وتَعَوّذِكَ مِنَ الشَّرّ، وأمْرِكَ بالمعروفِ، ونَهْيِكَ عَنِ المُنْكَرِ وقِرَاءَتِكَ القُرْآنَ).

5- صفة الصفوة - لابن الجوزي 79/3 ، وسير أعلام النبلاء 175/8 ، والمقاصد الحسنة للسخاوي : 96 ، وجاء معناه في الحديث القدسي (أنا مع عبدِي ما ذكَرني وتحرَّكَتْ بي شَفَتاهُ) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (3074).

قال مجاهد رحمه الله تعالى: (مَنِ استطاعَ ألَّا يبيتَ إلَّا طَاهراً ذاكراً مُسْتَغفراً فليفْعَل فإنَّ الأرْوَاحَ تُبْعَثُ على ما قُبِضَتْ عَلَيهِ).

وكان خالد بنُ معدان رحمه الله تعالى : يُسبِّحُ كلَّ يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن ، فلما مات وضع على سريره ليغسل ، فجعل يُشير بأصبعه يُحركها بالتسبيح .

نام بعضُهم عند إبراهيم بن أدهم قال : فكنتُ كلَّما استيقظتُ من الليل ، وجدتُه يذكر الله ، فأغتمّ ، ثم أُعزِّي نفسي بهذه الآية : (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) .

وعن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال: ما يسرني أن لي من أول الدنيا إلى آخرها أنفقه في وجوه البر و أني أغفل عن الله طرفة عين.

وقال عون بن عبد الله رحمه الله: ذاكرُالله في غفلة الناس، كمثل الفئة المنهزمة يحميها الرجل، لولا ذلك الرجل هُزمت الفئة، ولولا مَن يذكر الله في غفلة الناس هَلك الناس.

وقال أيضًا رحمه الله: إن لكل رجل سيدًا من عمله، وإن سيد عملي الذكر.

وقال بعض السلف : إذا تمكَّن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يُصرَع الإنسان إذا دنا منه الشيطان ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسه إنسي .

والذكر روح الأعمال الصالحة ، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه .

ولذ قيل : إذا قَوِي حالُ المحبِّ ومعرفته ، لم يشغَلْهُ عن الذكر بالقلب واللسان شاغل ، فهو بَينَ الخلق بجسمه، وقلبه معلق بالمحلِّ الأعلى ، كما قال عليٌّ رضي الله عنه في وصفهم : صَحِبوا الدُّنيا بأجسادٍ أرواحُها معلقة بالمحلِّ الأعلى [6] .

*** *** ***

كان أبو حفص النَّيْسابوري رحمه الله تعالى إذا ذكر الله تغيَّرت عليه حالُه حتى يَرى ذلك جميع من عنده ، وكان يقولُ : ما أظن محقّاً يذكر الله عن غير غفلة ، ثم يبقى حياً إلا الأنبياء ، فإنَّهم أُيِّدوا بقوَّة النبوَّة وخواصِ الأولياء بقوَّة ولايتهم.

إذا سمِعَتْ باسمِ الحَبيبِ تَقعقعت   مَفاصِلُها مِنْ هَولِ ما تَتذَكَّرُ

6- تذكرة الحفاظ – للذهبي - (12/1) .

وهذا إمام أهل السنة و الجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله يحكي عنه ابنه عبد الله قال: كان أبي يصلي في كلِّ يوم وليلة ثلاثمائة ركعة .. فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وكان قرب الثمانين من عمره .

وقال أحمد بن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى : قوت الأرواح والقلوب ذكر الله علاّم الغيوب.

وقال الغزالي رحمه الله تعالى [7]:

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى و أنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله تعالى وعارفاً بالله سبحانه. وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه.

وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته و أفعاله. وليس في الوجود سوى الله تعالى و أفعاله. ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار.

وقال أيضاً : رحمه الله تعالى : إن ذكر الله ليس استحضارا لغائب؟ إنما هو حضورك أنت مِنْ غيبة، و إفاقتك أنت من غفلة .

*** *** ***

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : كلَّما قويت المعرفةُ صار الذكرُ يجري على لسان الذاكر من غير كُلفة ، حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه : الله الله ، ولهذا يُلهم أهلُ الجنة التَّسبيح ، كما يُلهمون النفسَ ، وتصيرُ لا إله إلا الله لهم ، كالماء البارد لأهل الدنيا .

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: إنَّ في الدنيا جَنَّة، مَنْ لم يَدْخُلْها لم يَدْخُل جَنَّةَ الآخِرَة، قالوا: وما هي يا إمام؟ قال: مَحَبَّةُ الله تعالى وذِكْرُهُ.

وقال ابن القيم رحمه الله [8]: وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ الَّذِي مِنْ أُعْطِيَهُ اتَّصَلَ وَمَنْ مُنِعَهُ عُزِلَ، وَهُوَ قُوتُ قُلُوبِ الْقَوْمِ الَّذِي مَتَى فَارَقَهَا صَارَتِ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا، وَعِمَارَةُ دِيَارِهِمُ الَّتِي إِذَا تَعَطَّلَتْ عَنْهُ صَارَتْ بُورًا، وَهُوَ سِلَاحُهُمُ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ، وَمَاؤُهُمُ الَّذِي يُطْفِئُونَ بِهِ الْتِهَابَ

7- الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين - الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

8-مدارج السالكين في فصل (منزلة الذكر) .

الحرِيقِ وَدَوَاءُ أَسْقَامِهِمُ الَّذِي مَتَى فَارَقَهُمُ انْتَكَسَتْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ وَالْعَلَاقَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوِينَا بِذِكْرِكُمُ فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

وَهُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ وَصِقَالُهَا وَدَوَاؤُهَا إِذَا غَشِيَهَا اعْتِلَالُهَا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ الذَّاكِرُ فِي ذِكْرِهِ اسْتِغْرَاقًا: ازْدَادَ الْمَذْكُورُ مَحَبَّةً إِلَى لِقَائِهِ وَاشْتِيَاقًا، وَإِذَا وَاطَأَ فِي ذِكْرِهِ قَلْبُهُ لِلِسَانِهِ: نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ وَحَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَكَانَ لَهُ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

بِهِ يَزُولُ الْوَقْرُ عَنِ الْأَسْمَاعِ وَالْبَكَمُ عَنِ الْأَلْسُنِ وَتَنْقَشِعُ الظُّلْمَةُ عَنِ الْأَبْصَارِ. زَيَّنَ اللَّهُ بِهِ أَلْسِنَةَ الذَّاكِرِينَ كَمَا زَيَّنَ بِالنُّورِ أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ. فَاللِّسَانُ الْغَافِلُ: كَالْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ وَالْأُذُنِ الصَّمَّاءِ وَالْيَدِ الشَّلَّاءِ.

وقال - أيضا - رحمه الله تعالى : إن العبد يستطيع أن يتلمس أثر حب الله في قلبه في مواطن عديدة منها :

الموطن الأول : عند أخذ المضجع حيث لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به.

الموطن الثاني : عند انتباهه من النوم ، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه.

الموطن الثالث : عند دخوله في الصلاة ، فإنها محكُ الأحوال وميزان الإيمان ... فلا شيء أهم عند المؤمن من الصلاة ، كأنه في سجن وغمّ حتى تحضر الصلاة ، فتجد قلبه قد انفسح وانشرح واستراح، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال : (أرحنا بها يا بلال) رواه أبو داود .

الموطن الرابع : عند الشدائد والأهوال ، فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده .

*** *** ***

وقال الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى: {ولله الأسماء الحسنى} [الأعراف: 180]:

إن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله تعالى، والمخلِّص من عذاب جهنم هو ذكر الله تعالى، وأصحاب الذوق والمشاهدة يجدون من أرواحهم أن الأمر كذلك، فإن القلب إذا غفل عن ذكر الله، و أقبل على الدنيا وشهواتها، وقع في باب الحرص وزمهرير الحرمان، ولا يزال ينتقل من رغبة إلى رغبة، ومن طلب إلى طلب، ومن ظلمة إلى ظلمة، فإذا انفتح على قلبه باب ذكر الله

ومعرفة الله تخلِّص من نيران الآفات، ومن حسرات الخسارات، واستشعر بمعرفة رب الأرض والسموات .

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى : الذكر منشور الولاية، ومنار الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية، ودلالة النهاية، فليس وراء الذكر شيء ؛ وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : والذكر النافع هو مع العلم - أي بمعانيه - و إقبال القلب وتفرغه إلا من الله وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى وذكر الله تعالى للعبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربه . قال الله عز وجل : فاذكروني أذكركم .

وقال بعض العلماء : كيف يليق بالعبد الفقير أن يصبر على مولاه الكبير، أم كيف يحسن به أن يغفل عمَّن أبرزه من العدم إلى الوجود، وغذّاه في الرحم بدم أمه، أم كيف لا يذكره وهو ذاكر له في كل أنفاسه، ومقبل عليه بجلي لطفه، ما ذاك إلا جنون، ما ذاك إلا فتون، والله ما أحسن قول العارف المُحبُّ الصادق أبي بكر الشبلي رحمه الله تعالى :

ذكرتك لا أنّي نسِيتُكَ لمحةً   و أيسَرُ ما في الذكرِ ذكرُ لساني

وكِدتُ بلا وَجدٍ أموتُ من الهوى   وهام عليَّ القلبُ بالخفقانِ

وقال النووي رحمه الله : (اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى)، كذا قاله سعيد بن جبير رحمه الله وغيره من العلماء.

*** *** ***

وسئل أبو عمرو بن الصلاح - رحمه الله - عن القدر الذي يصير به المرء من الذاكرين الله كثيرا، فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء في الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا [9] كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، والله أعلم.

وينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالسا في موضع استقبل القبلة، وجلس متذللا متخشعا بسكينة ووقار.ولا شك أن الذكر مأمور به، وهذا الأمر بذكره يكون مطلقا

9- يعني أذكار الدخول والخروج واللبس والخلع والنوم والاستيقاظ وأذكار الأكل والشرب .. الخ .

ومقيدا، فهو مطلق بالنسبة للأزمان، ومقيد بالنسبة للعبادات، فكما أنه لا يجوز لأحد أن يقول لا إله إلا الله ألف مرة في السجود أو الركوع لأنه خرج عن رسم الشريعة مع دخوله في العموم؛ فكذلك لا يجوز له أن يأتي بذكر في موطن جاءت السنة بالذكر فيه على نحو معين، بخلاف ما جاءت به السنة.

وقد قيل : الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية و المحبة والنصرة والتوفيق.

أقول لك أخي الكريم - بعد هذه التطوافة الرائعة مع علمائنا وسلفنا رضي الله عنهم وتعظيمهم لذكر الله – يجب علينا أن نسأل أنفسنا صادقين :

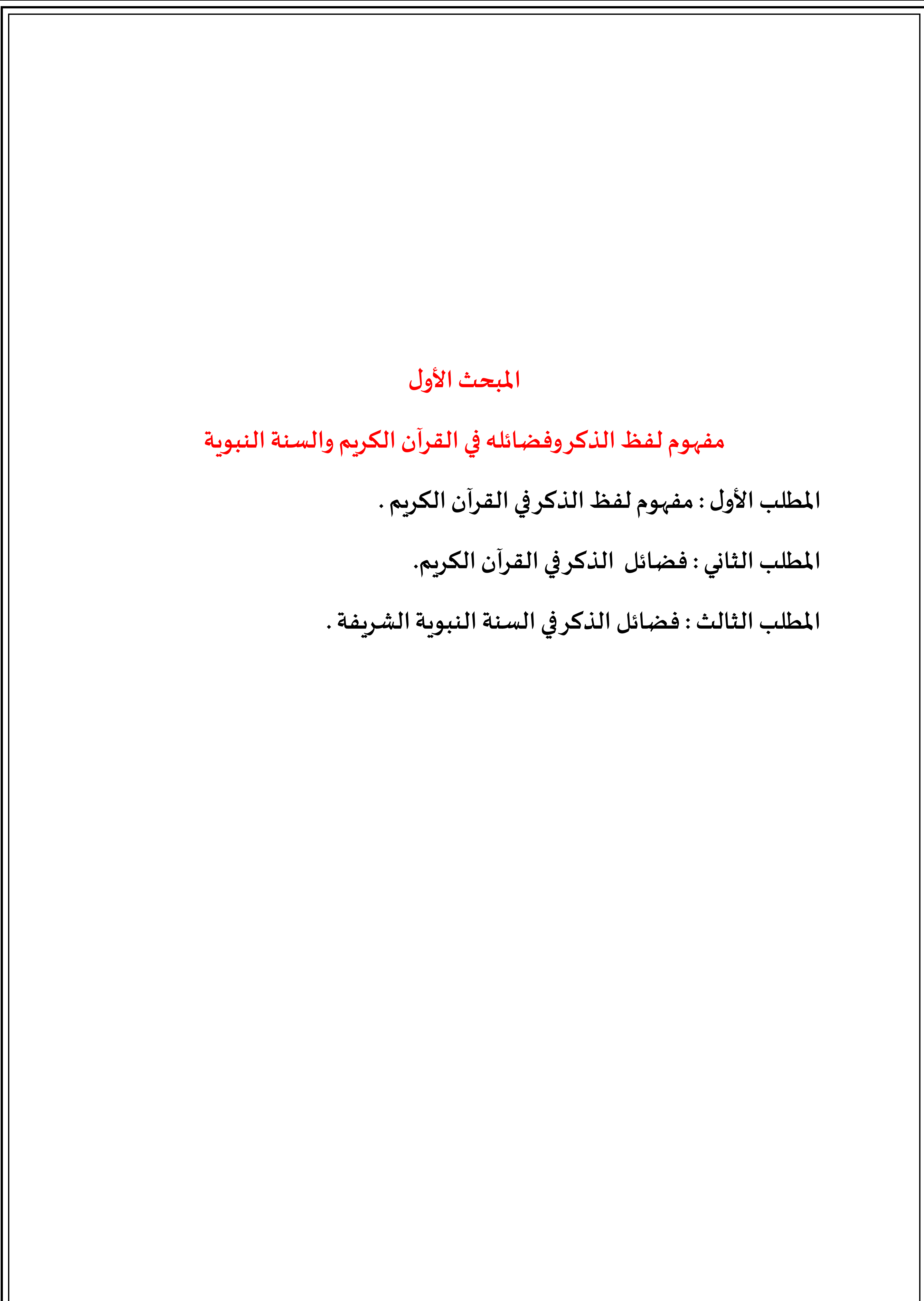
- كم أعطينا من أوقاتنا لذكر الله تعالى .
- وكم فرَّغنا قلوبنا لتستحضر عظمة الله تعالى عند ذكره وتلاوة كلامه .
- وهل يا ترى شعرنا بخسارة الوقت الذي أضعناه في الأمور غير المجدية .
- وهل يا ترى شعرنا بالخجل من ربنا حيث غفلنا عن ذكره في هذا العمر القصير .
- أين روح التنافس في كسب الأجور بالإكثار من ذكر ربنا الغفور .
- ثم لو تأملنا في ذكرنا الذي نمارسه هل امتلأ بالحب والخشوع والتذلل لله تعالى أم غلبت عليه الغفلة .

لعل ما في هذا الرسالة يزيل الغشاوة عن القلوب ، والفتور عن الألسنة ويرفع الهمة لذكر الله وتلاوة كلامه تعالى بما يعيد لهما أنوارهما في الأفئدة و آثارهما في الجوارح .

واعلم أخي أن في زماننا هذا عباد صالحون : اغتنموا الساعات في ادِّخار البضاعة الباقية، وسارعوا في الاستزادة من الرصيد الباقي .. إذا انشغل الناس بالقيل والقال رأيتهم منشغلين بذكر مولاهم تبارك وتعالى .. وإذا انشغل الناس بجمع الدينار والدرهم رأيتهم مشغولين بجمع الباقيات الصالحات. **ولله در القائل :**

الصبرُ يُحمدُ في المواطن كلها　　　إلا عليك فإنَّه لا يُحمدُ

*** *** ***



المبحث الأول

مفهوم لفظ الذكروفضائله في القرآن الكريم والسنة النبوية

المطلب الأول : مفهوم لفظ الذكرفي القرآن الكريم .

المطلب الثاني : فضائل الذكرفي القرآن الكريم.

المطلب الثالث : فضائل الذكرفي السنة النبوية الشريفة .

المطلب الأول

مفهوم لفظ الذكر في القرآن الكريم

قبل بيان استعمالات الذكر في القرآن الكريم لا بد من تعريفه في اللغة والاصطلاح

أما الذكر لغة : مصدر ذَكر الشيء يذكره ذِكراً وذُكراً، وأصل الذكر في اللغة التنبيه على الشيء، ومن ذكَّرك شيئا فقد نبَّهك عليه، وإذا ذكَّرته فقد نبَّهته عليه [10].

ويأتي لمعان:

أ- الشيء يجري على اللسان، أي: ما ينطق به، يقال: ذكرت الشيء أذكره ذِكرا وذُكرًا إذا نطقت باسمه أو تحدَّثت عنه، ومنه قوله تعالى: **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)** سورة مريم (16) ،وقوله تعالى : **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا)** سورة مريم (41) ونحوهما.

ب- استحضار الشيء في القلب، ضد النسيان، قال تعالى حكاية عن فتى موسى عليه الصلاة والسلام: **(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ)** [الكهف:63].

قال الراغب الأصفهاني : الذكر: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يُمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره.

وتارة يقال لحضور الشيءِ القلبَ أو القولَ، ولذلك قيل: **الذكر** ذكران : ذكر بالقلب، وذكر باللسان. وكل واحد منهما ضربان: **ذكر** عن نسيان، **وذكر** لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ" [11].

ويطلق الذكر على أمور كثيرة، ومنها ما نقله القاضي عياض عن الحربي أنه قال: "**للذكر ستة عشر وجها: الطاعة، وذكر اللسان، وذكر القلب، والإخبار، والحفظ، والعظمة، والشرف، والخير، والوحي، والقرآن، والتوراة، واللوح المحفوظ، واللسان، والتفكر، والصلوات، وصلاة واحدة**"، وزاد القاضي عياض أيضا فقال: "**وقد جاء بمعنى التوبة، وبمعنى الغيب، وبمعنى الخطبة**" [12].

10- مقاييس اللغة – لابن فارس – مادة (ذ ك ر) وتهذيب الأسماء واللغات – للإمام النووي (3 / 111).

11- مفردات ألفاظ القرآن – للراغب الأصفهاني - (ص 328-329).

12- مشارق الأنوار على الصحيح من الآثار- للقاضي عياض موسى عياض اليحصبي السبتي المالكي (269/1).

وأما في الاصطلاح : **فهو التخلص من الغفلة بدوام حضور القلب مع الحق، والثناء عليه تعالى باللسان و الجنان أو الأركان بأي عبادة كانت**، فكل طائع لله تعالى فهو ذاكر كالمشتغل بالتفسير والحديث و الفقه والكلام والوعظ والتفكر في عظمة الله وجلاله وملكه وملكوته، وكل ممتثل ما أمر الله به أو منتهٍ عما نهى الله عنه فهو ذاكر[13] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرِّب إلى الله من تعلّم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله [14] .

وقال العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : **وإذا أطلق ذكر الله شمل كل ما يقرِّب العبدَ إلى الله من عقيدة أو فكر أو عمل قلبي أو عمل بدني أو ثناء على الله أو تعلم علم نافع وتعليمه ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى** [15].

*** *** ***

والآن إليك بيان استعمال كلمة الذكر في القرآن :

لفظ **(الذكر)** من الألفاظ المتواترة الحضور في القرآن، فقد ورد في ثمانية وستين ومئتي **(268)** موضعا، منه ما جاء بصيغة الفعل بتصريفاته المتنوعة، ومن أكثر صيغ الأفعال وروداً في القرآن **صيغة الأمر**، نحو قوله سبحانه: (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**) [البقرة: 152]. ، حيث وردت هذه الصيغة في واحد وثلاثين موضعاً.

كما ورد لفظ (الذكر) بصيغة الاسم وبتصريفات متنوعة في مئة وأربعة عشر موضعاً، من ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (الأحزاب:41).

ولقد ذكر أهل التفسير أن لفظ (الذكر) في القرآن على أوجه ، منها 16 :

أحدها: الذكر باللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾ [البقرة: 200]،وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)** (الأحزاب:41). فالمقصود بلفظ

13- جواذب القلوب لذكر علام الغيوب - عبدالله بن إبراهيم بن حسن الميرغني – (نسخة إلكترونية) .

14- مجموع الفتاوى – لابن تيمية - (661/10).

15- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة – للسعدي – ص (245) .

16- مقال : ألفاظ قرآنية - موقع الشبكة الأسلامية ، ومقال : آداب الذكر وحكمه ومعانيه في القرآن -الشيخ طارق عاطف حجازي – شبكة الألوكة الشرعية .

(الذكر) في هاتين الآيتين ونحوهما: كل ذكر ورد بحقه سبحانه، كالتحميد، والتكبير، والتهليل ونحوها. وأكثر لفظ (الذكر) في القرآن جاء على هذا المعنى.

الثاني: (التذكر)، الذكر بالقلب : ومنه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) [آل عمران: 135]، يعني بذلك: ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه، فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بالصفح عنهم، وعدم معاقبتهم عليها. وقيل: هو الندم.

الثالث: الحديث، ومنه قوله تعالى: (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)، ومثله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ)، و (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى)

الرابع: الخبر، ومنه قوله تعالى: (قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا) أي: خبر من قبلكم. وقوله سبحانه: (هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي) (الأنبياء:24)، أي: إن القرآن تضمن خبر الأولين والآخرين.

الخامس: العظة، ومنه قوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) [الأنعام: 44]. ومنه قوله تعالى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات:55). و(الذكر) على هذا المعنى كثير في القرآن أيضاً.

السادس: الوحي، ومنه قوله تعالى: (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال السدي رحمه الله : الملائكة يجيئون بالكتاب، والقرآن من عند الله إلى الناس. وعلى هذا المعنى قوله تعالى: (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً) (المرسلات:5). .

*** *** ***

السابع: القرآن، ومنه قوله تعالى: (وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ). أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) (الأنبياء:2)، فالمراد بـ (الذكر) هنا: القرآن.

الثامن: التوراة والكتب السابقة. ومنه قوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) . روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن المراد بـ {أهل الذكر} هنا: أهل الكتاب .

التاسع: الشرف، ومنه قوله تعالى: (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) الزخرف (44)، أي: إن هذا القرآن الذي أوحي إليك يا محمد صلى الله عليه وسلم، لشرف لك ولقومك من قريش.

ومن الآيات التي فُسر (الذكر) فيها بمعنى (الشرف)، قوله تعالى:(لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأنبياء:10)، قال بعض المفسرين: عنى بـ{الذكر} في هذا الموضع: الشرف.

العاشر: الطاعة، ومنه قوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)، أي: أطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه، أُثبكم بالأجر والمغفرة. وهذا على أحد التفسيرين للآية.

الحادي عشر: البيان، ومن ذلك قوله تعالى: (ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) (ص:1)، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: معنى {ذي الذكر}: ذي البيان. وهو كقوله تعالى:(أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ).

الثاني عشر: الصلوات الخمس، من ذلك قوله تعالى: (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) (النور:37)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون:9)، فالمراد بـ (الذكر) في الآيتين: الصلوات المفروضة. وهذا على قول في تفسير الآيتين. ومنه قوله تعالى: (فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ).

الثالث عشر: صلاة الجمعة، ومنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) سورة الجمعة (9).

الرابع عشر: صلاة العصر، ومنه قوله تعالى: (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) عن قتادة والسدي أن المراد بـ (الذكر) في هذه الآية: صلاة العصر.

الخامس عشر: الرسول، ومنه قوله تعالى: (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا) [الطلاق: 10-11]. قيل: إن أنزل ها هنا بمعنى أرسل.

*** *** ***

السادس عشر: الذكر بمعنى (اللوح المحفوظ)، من ذلك قوله سبحانه: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء:105)، قال سعيد بن جبير: {الذكر}: الذي في السماء، وهو بمعنى قوله تعالى: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (الرعد:39).

السابع عشر: الذكر بمعنى (الحفظ)، من ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:63).

قال القرطبي: تدبروه، واحفظوا أوامره ووعيده، ولا تنسوه، ولا تضيعوه. ونحوه قوله سبحانه: **(وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)** (آل عمران:103)، أي: احفظوا ما أنعم الله عليكم من نعم، ولا تضعوها في غير موضعها المشروع.

الثامن عشر: الذكر بمعنى (شرع الله)، من ذلك قوله تعالى: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا)** (سورة طه:124)، ونحوه قوله سبحانه:(**وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)** (الجن:17)، فـ(**الذكر**) المتوَعَّدُ بالإعراض عنه هو شرع الله، وشرع الله: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

التاسع عشر: الذكر بمعنى (العذاب)، من ذلك قوله تعالى: **(أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ)** (الزخرف:5)، أي: أفنترك عذابكم، ولا نعاقبكم على إسرافكم وكفركم. وهذا اختيار الطبري في معنى الآية. وقيل المقصود بـ{**الذكر**} هنا: القرآن[17] .

*** *** ***

17- تلك هي أهم المعاني التي ورد عليها لفظ (الذكر) في القرآن، وهي معان مستفادة في أغلبها إما من آثار مروية في تفسير الآيات التي ورد فيها لفظ (الذكر)، وإما مستفادة من السياقات القرآنية التي ورد فيها هذا اللفظ، وهذا ملحوظ لمن تتبع معاني هذا اللفظ في كلام المفسرين – نقلا عن إسلام ويب – مقالات .

المطلب الثاني

فضائل الذكر في القرآن الكريم

المتأمل في القرآن يجد أنه رفع من شأن الذكر وأهله وامتدح الأنبياء والصالحين بأنهم كانوا من أهل الذكر وحث عليه في آيات كثيرة جدا [18] ، ولما كان من الأمر العسير الإحاطة بها أحببت أن أقف مع أربع آيات فقط لنعلم من خلالها فضل الذكر وأهميته وعظمة مقاصده حينما شرع، فأقول ومن الله أرجو العون والقبول :

الآية الأولى : قوله تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) : هذه الآية من أجلِّ الآيات الواردة في الترغيب في الذكروكما قال العلماء : لو لم يكن فيه من الفضائل إلا هذه الآية لكانت كافية في الحث على لزومه والإكثار منه .

***　　　***　　　***

18- ذكرنا سابقا أن كلمة الذكروردت في القرآن في (268) موضعا ،وسأشيرهنا إلى بعض الآيات التي تبين فضائل الذكرسواء ورد فيها لفظ الذكرأوورد ضمنا ، ومنها :

قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: 152].

وقال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُاللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 41، 43].

وقال تعالى: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 35].

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الشعراء: 227].

وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: 10].

وقال تعالى :﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَاللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ [الأنفال: 2].

وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال: 45].

وقال تعالى:﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14].

وقال تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِاللَّهِ أَلَا بِذِكْرِاللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

وقال تعالى:﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَفِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّوَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِاللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: 36-37].

وقال تعالى:﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 190: 191].

وقال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: 135].

وقال تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِوَالْمَيْسِرِوَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِاللَّهِ﴾ [المائدة 91].

وقال تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَوَذَكَرَاللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21] .

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِاللَّهِ﴾ [الحديد 16] .

وهذه الآية تأتي بعد قوله تعالى (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) سورة البقرة (151) .

ولذا قال القرطبي رحمه الله تعالى :

أي كما فعلت بكم هذا من المنن التي عددتها عليكم[19] فاذكروني بالشكر أذكركم بالمزيد ؛ لأن في ذكركم ذلك شكرا لي ، وقد وعدتكم بالمزيد على الشكر ، وهو قوله : (لئن شكرتم لأزيدنكم).

و قال السعدي رحمه الله تعالى :

كل علم أو عمل نالته هذه الأمة فعلى يده صلى الله عليه وسلم وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق, ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده، فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها؛ فلهذا قال تعالى: { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ }.

ومن أجمع وأجمل ما ورد في تفسيرها قول الرازي رحمه الله تعالى (مع بعض الإضافات) :

19- قلت : ست منن ما أجلها وأعظمها :

1- (أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ) فبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من اعظم منن الله ، كيف وهو الذي هدانا من ضلالة بصرنا من عمى وعلمنا من جهالة.

2- (يَتْلُوعَلَيْكُمْ آيَاتِنَا) هذا يعم الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل, والهدى من الضلال, التي دلتكم أولا, على توحيد الله وكماله, ثم على صدق رسوله, ووجوب الإيمان به, ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب, حتى حصل لكم الهداية التامة, والعلم اليقيني.

3- (وَيُزَكِّيكُمْ) أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم بتربيتها على الأخلاق الجميلة وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة ، وذلك كتزكيتكم من الشرك, إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص ،ومن الكذب إلى الصدق ،ومن الخيانة إلى الأمانة ومن الكبر إلى التواضع ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق.

4- (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ) يعني القرآن الكريم ألفاظه ومعانيه.

5- (وَالْحِكْمَةَ) قيل: هي السنة ، وقيل: الحكمة معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها ،وتنزيل الأمور منازلها. فيكون - على هذا - تعليم السنة داخلا في تعليم الكتاب, لأن السنة تبين القرآن وتفسره وتعبر عنه.

6- (وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) لأنهم كانوا قبل بعثته, في ضلال مبين, لا علم ولا عمل، فكل علم أو عمل, نالته هذه الأمة فعلى يده صلى الله عليه وسلم, وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق .(تفسير السعدي).

قوله تعالى : (أَذْكُرْكُمْ) لا بد من حمله على ما يليق بالموضع ، والذي له تعلق بذلك الثواب والمدح ، وإظهار الرضا والإكرام ، و إيجاب المنزلة.

وكل ذلك داخل تحت قوله : (أَذْكُرْكُمْ) ثم للناس في هذه الآية عبارات :

الأولى : اذكروني بطاعتي أَذْكُرْكُمْ برحمتي .

الثانية : اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة والإحسان، وهو بمنزلة قوله تعالى :(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر : 60] وهو قول أبي مسلم، قال : أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين، وراجين خائفين، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء .

فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته ذكرهم بالإحسان والرحمة والنعمة في العاجلة والآجلة .

الثالثة : اذكروني بالثناء والطاعة أذكركم بالثناء والنعمة . وهو كقوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) الأحزاب(43) .

الر ابعة : اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة . وهو كقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) التوبة (120) .

الخامسة : اذكروني في الخلوات أذكركم في الفلوات .

السادسة : اذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء . وهذا المعنى والذي قبله يندرجان في قوله صلى الله عليه وسلم (تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشِّدَّةِ) [20].

والمعنى: اجعَلِ اللهَ يَعرِفُك بطاعتِه، والعمَلِ فيما أولَاك مِن نِعمَتِه؛ فإنَّه سُبحانه يُجازِيك عندَ الشِّدَّةِ والحاجةِ إليه في الدُّنيا والآخِرةِ،

السابعة : اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي ، وهذا المعنى كقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) . وكقوله صلى الله عليه وسلم (اللهمَّ أعِنِّي على ذكرِك وشكرِك وحسنِ عبادتِك) رواه أبو داود .

20- ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم وقال : حسن جيد وصححه عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الشرعية الكبرى - (333/3) .

الثامنة : اذكروني بمجاهدتي أذكركم بهدايتي . وهذا المعنى كقوله تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) العنكبوت (69) .

قال القرطبي : قال عبد الله بن عباس : والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا . وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الأقوال .

التاسعة : اذكروني بالصدق والإخلاص أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص .

العاشرة : اذكروني بالربوبية في الفاتحة - في فواتح الأمور - أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة أي خاتمة الأمور المهمة .

*** *** ***

وقال ابن عجيبة في تفسيره المسمى بالبحر المديد :

قوله تعالى : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) : فاذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء.

أو: فاذكروني بالتسليم والرضا أذكركم بحسن التدبير ولطف القضاء،(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطّلَاق: 3] .

أو: فاذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصال والقربة.

أو: فاذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة.

أو: فاذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء.

أو: فاذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال .

أو: فاذكروني بالطاعات أذكركم بالمعافاة، يعني يحييه حياة طيبة.

أو: فاذكروني في الخلاء والملأ أذكركم في أفضل الملأ.

قلت : ودليله ما ورد في الحديث القدسي : (يقُولُ اللَّه تَعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَ أَنَا مَعهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِن ذَكَرَنِي فِي نَفْسهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفسي، وإِنْ ذَكَرَني فِي ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملإٍ خَيْرٍ منْهُمْ) متَّفقٌ عليهِ.

وفي حديث آخر قدسي آخر : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (قَالَ الله: يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ؛ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِن ذَكَرْتَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ أَوْ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْرًا دنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ أَتَيتَنِي تَمْشِي أَتَيتُكَ أُهَرْوِلُ) [21].

قال أحد الدعاة : إنه ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ، ولا يعبِّر عن شكره إلا سجود القلب .

*** *** ***

الآية الثانية : قوله تعالى : (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَ أَقِمِ الصَّلَاةَۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) سورة العنكبوت (45)

ووقفتنا مع موضع الشاهد : (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) : لقد تعددت أقوال المفسرين في معنى هذه الآية الكريمة ، وإليك لعضها [22] :

قال ابن مسعود و ابن عباس و أبو الدرداء رضي الله عنهم وبعض التابعين : أي ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلو اتكم.

وفي رو اية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ولذكر الله لعباده أكبر ، إذا ذكروه من ذكرهم إياه .وفي رو اية ثالثة عن ابن عباس: لها وجهان ، قال : ذكر الله عندما حرمه ، قال : وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه .

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى : وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة ؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله مر اقب له .

وثواب ذلك أن يذكره الله تعالى ،كما في الحديث القدسي : (مَن ذكَرَني في نفْسِه ذكَرتُه في نفْسي، ومَن ذكَرَني في ملإٍ مِنَ الناسِ ذكَرتُه في ملإٍ أكثرَ منهم وأطيَبَ) متفق عليه .

*** *** ***

21- أخرجه أحمد (12405)، وعبد بن حميد في ((المسند)) (1167)، والطبر اني في ((الدعاء – رقم (1871) وصححه العلامة أحمد شاكر في مقدمة كتابه عمدة التفسير.

22- تفسير الطبري والقرطبي .

الآية الثالثة : قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا *هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) الأحزاب (41-43) .

سبب نزولها : قال القرطبي رحمه الله تعالى في سبب نزولها : قال ابن عباس : لما نزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب ٥٦]. قال المهاجرون والأنصار: هذا لك يا رسول الله خاصة ، وليس لنا فيه شيء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ).

وفي رواية : ما من خير إلا ينزله الله عليك ويشركنا فيه ماذا لنا ؟ فأنزل الله تعالى(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) سورة الأحزاب (43) .

وهذه نعمة من الله تعالى على هذه الأمة من أكبر النعم ، ودليل على فضلها على سائر الأمم . وقد قال تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) سورة آل عمران (110) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (إن الله فرض فرائض وجعل لكل منها حدا معلوما وعذر مَن لم يقدر عليها من أهل الأعذار، إلا الذكر لم يجعل له حدا معلوما ولم يعذر إلا من لم يعقل) ! يعني ذكر الله تعالى ليس له حد معلوم ، ولا قت معين كما أنه لا شرط له ولا ركن .

وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم مطبّقا هذه الآية طيلة حياته الشريفة ولم يكن أحد أكثر ذكراً لله تعالى منه ودليل ذلك قول عائشة رضي الله عنها : (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ) رواه مسلم .

وقد قال العلماء :إذا جاء المضارع بعد لفظة (كان) فإنه هذه صيغة تدل على المداومة وتكرار ذلك الفعل ما لم توجد قرينة تبيّن خلاف ذلك.

وقال الصحابة رضي الله عنهم :إنْ كنَّا لنَعُدُّ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم في المجلسِ الواحدِ مائةَ مرَّةٍ: (ربِّ اغفِرْلي وتُبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّابُ الرَّحيمُ) [23].

23- إسناده صحيح: أخرجه أحمد، و أبو داود، والترمذي، و ابن ماجه .

والصلاة من الله على العبد هي رحمته له وبركته لديه . وصلاة الملائكة : دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم ، كما قال : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) سورة غافر (7) .

*** *** ***

بناءً على ما سبق أقول : إذا صلى الله عليك أخرجك من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ، ومن ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة ، ومن ظلمات تضييع الوقت إلى أنوار الاستفادة منه ، ومن ظلمات الوحشة إلى أنوار الأنس بالله تعالى ، ومن ظلمات الدنيا وضيقها إلى أنوار الآخرة وسعتها .

تلك كلها من بركات الإكثار من الذكر وليس مجرد الذكر كما في هذه الآية بل وغالبية الآيات الآمرة بذكر الله تجدها مقرونة بالإكثار.

قال بعضهم : المنافق يذكر الله والمؤمن يذكر الله ، لكن المنافق ذكره قليل والمؤمن ذكره كثير قال تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) النساء (142) .

كثرة الذكر دليل على الإيمان.. والإيمان يدفع إلى كثرة الذكر. . فكم نذكر الله ؟

وذكر الله أنواع ، تسبيح ،تحميد، تهليل ،استغفار حوقلة صلاة على النبي صلى الله عليه أذكار الصلوات وأذكار الدخول والخروج وأذكار الصباح والمساء أذكار دخول المسجد والخروج منه واذكار لبس الملابس وخلعها وهكذا ... ، وقد سن الحبيب صلى الله عليه وسلم لنا في كل مناسبة أذكارا محددة . وسيأتي مزيد بيان لأنواع الذكر في المبحث الرابع إن شاء الله تعالى .

وتمام الآية وتفسيرها : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) أن ذلك في الأزل كان ولا يزال أي هذا يدل على أن الذين كتب الله انهم من الذاكرين الله كثيرا وأنهم يخرجون من الظلمات إلى النور معلومون في الأزل ولهذا ينبغي أن تسأل نفسك من انت؟ من انت قبل أن توجد هذا يتبين من حياتك فانظر كم تذكر الله في اليوم والليلة؟ نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. .

*** *** ***

الآية الرابعة : قوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) سورة الرعد (28) ففي الآية إشارة إلى حصول الاطمئنان القلبي والراحة النفسية لمن أكثر من ذكر الله تعالى .

قال السعدي رحمه الله تعالى : ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك [24].

وقال البغوي رحمه الله تعالى :

فإن قيل : أليس قد قال الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال - 2) فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة ؟

قيل : الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب ، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب ، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه ، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وثوابه وكرمه .

***　　　***　　　***

وأختم هذا المطلب بما قاله ابن القيم رحمه الله : جاء الذكر في القرآن على عشرة أوجه (يعني عشر موضوعات) :

الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً : وذلك كقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: 41، 42].

وقد علق الدكتور محمد راتب النابلسي على هذا الكلام قائلا : هذا أمر مطلق والمُطلق على إطلاقه ، يعني إذا قرأتَ القرآن ذكرتَ الله ، وإذا أمرتَ بالمعروف ذكرتَ الله ، وإذا حَمدته ذكرته

24- قال السعدي : وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام.{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقا عظيما.(وانظر تفسير القرطبي) .

، وإذا سبّحته ذكرته ، وإذا وحدته ذكرته , وإذا كبّرته ذكرته ، وإذا دعوته ذكرته ، أمرَ الله عزّ وجل بِذكره في القرآن ذِكراً مُطلقاً 25.

الأمر المقيد : قال تعالى :﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف الآية: 205] .

وقد علق الدكتور محمد راتب النابلسي على هذا الكلام قائلا : يعني الذِكر يجب أن يُقيّد بالتضرع ، بالتذلل ، بالخضوع ، وخيفةَ يعني يجب أن تذكره متضرعاً وخائفاً ، جهراً وسِراً ، يجب أن تذكره في سِركَ وقلبك ويجب أن تذكره بلسانكَ وقولك 26.

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان: كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

وقد علق الدكتور محمد راتب النابلسي على هذا الكلام قائلا : أمركَ بالذِكر مطلقاً ، أمركَ به مقيّداً ، تضرعاً وخيفة ، سِراً وجهراً ، بقلبكَ وبلسانك ، ونهاكَ عن ضده نهاكَ عن الغفلة ، ونهاكَ عن النسيان [27] .

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته : كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10].

الرابع: الثناء على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. وقد تحدثت عن هذه الآية قريبا.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء، كقوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾.

25- شرح مدارج السالكين - الدرس : (9) – الذكر – موسوعة النابلسي -بتصرف .

26- السابق .

27- مدارج السالكين - الدرس : (9) – الذكر – موسوعة النابلسي- بتصرف .

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها، وذلك كما ختم به الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: 200] .

وختم به الصلاة، كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: 103] .

وختم به الجمعة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10].

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 190، 191].

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصلاة، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، وكذلك قرنه بالصيام وبالحج وغيرهما [28].

قرنه بالحج في قوله تعالى ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ سورة البقرة (198) .

*** *** ***

28- مدارج السالكين – لابن القيم - (2/441 - 444).

المطلب الثالث

فضائل الذكر في السنة النبوية الشريفة

ليس من مقصودنا هنا أن نورد الأحاديث النبوية التي تبيِّن الأجور المتعلقة بكل ذكر على حدته[29]، بل المقصود فضائل الذكر إجمالا .

وسأكتفي هنا بالتنبيه إلى عظيم ثواب الأذكار منفردة بضرب مثال ألا وهو: لو قيل لك ستُعطى مقابل كل كلمة فيها ذكر لله عشر ريالات ألن يكون همك حساب هذه الكلمات لتحصل على الريالات ؟ والنصوص تخبرك أنك ستعطَى على الذكر حسنات فهل الأفضل الحسنات أم الريالات؟ .

ثم اعلم أن ما يغرس لك من أشجار وما يبنى لك من بيوت وقصور وما يعد لك من ملابس في الجنة على قدر ذكرك لله تعالى لقد أخبرنا بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : (**لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي فقالَ : يا محمَّدُ ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ ، وأنَّها قيعانٌ ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبرُ**) رواه الترمذي والحديث إسناده حسن.

قال صاحب تحفة الأحوذي : قِيعان : بكسر القاف، جمع قاع، وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر. اهـ. والله أعلم .

ويمكننا تقسيم فضائل الذكر في الأحاديث النبوية - وهي كثيرة ومتنوعة - إلى قسمين : أحاديث عامة وأخرى خاصة .

أما الخاصة : فهي الأحاديث التي تبين فضائل ذكر بعينه كأن تبين فضل التسبيح أو التهليل أو تلاوة القرآن ونحوها كما سبق ذكره .

وأما العامة : فهي الأحاديث التي تبين فضائل الذكر على سبيل العموم دون تحديد نوع من أنواع الذكر، وهذا القسم هو المقصود هنا، فأقول - ومن الله أرجو السداد والقبول :

29- وهذا القسم سيأتي موزعا في فصول هذه الرسالة وما تليها من رسائل إن شاء الله تعالى .

إن الفضائل الواردة في هذا المقام منها ما هو في الدنيا ومنها ما هو في الآخرة ومنها ما يخاطَب به المنفرد بالذِّكر ومنها ما يخاطَب به المجتمعين على الذكر، ولما كانت تلك النصوص بهذه الكثرة اخترت بعضها ، وهي :

1/ ذكر الله هو أزكي الأعمال عند الله وخير من كثير من أعمال البر: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعمَالِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى) [30].

قال العز بن عبد السلام في قواعده: (هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الثَّوَابَ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ، بَلْ قَدْ يَأْجُرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَلِيلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْجُرُ عَلَى كَثِيرِهَا، فَإِذًا الثَّوَابُ يَتَرَتَّبُ عَلَى تَفَاوُتِ الرُّتَبِ فِي الشَّرَفِ) اهـ

وقال المناوي في فيض القدير: (فإن جَمِيع الْعِبَادَات من الْإِنْفَاق ومقاتلة الْعَدو وَغَيرهمَا وَسَائِل ووسائط يُتَقرَّب بهَا إِلَى الله وَالذكر هُوَ الْمَقْصُود الْأَعْظَم وَالْقلب الَّذِي تَدور عَلَيْهِ رَحا جَمِيع الْأَدْيَان) اهـ .

ومما يدل على ذلك ما ورد عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه أن نفراً من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ يكفينِهم ؟ -أي: من يقوم بضيافتهم؟ فقال طلحةُ : أنا قال : فكانوا عندَ طلحةَ فبعَث النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بَعْثًا فخرج فيه أحدُهم فاستُشهِد قال : ثم بعَث بَعْثًا فخرج فيهم آخرُ فاستُشهِد قال ثم مات الثالثُ على فراشِه قال طلحةُ : فرأيتُ هؤلاءِ الثلاثةَ الذين كانوا عندي في الجنةِ فرأيتُ الميتَ على فراشِه أمامَهم ورأيتُ الذي استُشهِدَ أخيرًا يَليه ورأيتُ الذي استُشهِد أوَّلَهم آخرَهم قال : فدخلني مِنْ ذلك قال : فأتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فذكرتُ ذلك له قال : فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (وما أنكرتَ مِنْ ذلك ليس أحدٌ أفضلَ عندَ اللهِ مِنْ مؤمنٍ يُعمَّرُ في الإسلامِ لتسبيحِه وتكبيرِه وتهليلِه) [31].

30- رواه أحمد بإسناد حسن و ابن أبي الدنيا والترمذي و ابن ماجه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (صحيح) – حيث رقم (1493).

31- مسند أحمد – (367/2) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح .

فتعجَّبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ فعل طلحة كيف يتعجب لهذا مع أنه أمر طبيعي، فالمؤمن إذا مُدَّ له في أجله بعد أخيه فعمر أوقاته بالتسبيح والذكروالتكبيروالتهليل، فهذه ترفع درجاته حتى ربما ارتفع فوق مقام من سبقه بالشهادة.

*** *** ***

2/ أحب الأعمال إلى الله أن تموت على ذكر الله تعالى : عن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لهم إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت : أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال : **(أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله)** [32].

3/ الإكثار من ذكر الله تعالى يجعل الذاكر أغني ممن يملكون الذهب والفضة : عن ثوبان رضي الله عنه قال لما نزلت **(والذين يكنزون الذهب والفضة)** قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة لو علمنا أي المال خير فنتخذه فقال **(أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه)** [33].

قلت : إذا كان المقصود من جمع المال نيل سعادة الدنيا فهذه الثلاث التي أشار إليها في الحديث تقوم مقام الحصول على المال وزيادة لأن صاحب اللسان الذاكر سيُعطى أكثر مما يجده صاحب المال ، لأن الذكر أفضل وأغلى من المال وهو سبب في جلب تفريج الهموم .

وصاحب القلب الشاكر هو أكثر الناس شعورا بالطمأنينة والرضا وتلك هي السعادة التي ينشدها أصحاب الأموال . لأن السعادة الحقيقة ليس في الوصول إلى الملذات بل بما يجده المرء في قلبه من القناعة والرضا .

والزوجة المؤمنة تجلب له السعادة لأنها ستكون عونا له على طاعة الله وعونا له على الرضا بالقليل من الحلال ، وبهذا سيكون سعيدا في حياته ، بخلاف الزوجة غير المؤمنة فستطالبه من الدنيا بما لا طاقة له به فيشقى ويلهث وراء الدنيا فتفوت عليه الطاعات والأعمال الصالحات ، بل قد]اتي الصلاة وهو مشوش العق مشتت الفكر فلا يكاد يخشع فيها أو يستشعر فيها بلذة ، وقل ذلك في الذكر وتلاوة القرآن الكريم . والله أعلم .

32- رواه ابن أبي الدنيا والطبر اني واللفظ له والبزار إلا أنه قال أخبرني بأفضل الأعمال و أقربها إلى الله ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : (حسن صحيح)– حيث رقم (1492).

33- رواه الترمذي واللفظ له و ابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : صحيح لغيره – حيث رقم (1499).

4/ الإكثار من ذكر الله تعالى دليل على حياة القلب بالإيمان : عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُرَبَّهُ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُرَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) رواه البخاري . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مَثَلُ البيتِ الذي يُذكرُالله فيه والبيت الذي لا يُذكرُالله فيه مَثَلُ الحيِّ والميت)**.(34)

قال الحافظ ابن حجررحمه الله : إن الذي يوصف بالحياة والموت حقيقة هو الساكن لا الموطئ ، وإن إطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت ، فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنة بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل .

وقيل : موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت.اهـ(35).

وعنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم و آتاه رجل فقال: يا رسول الله! كيف أقول حين أسأل ربي عزوجل؟ قال: (قل: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني ويجمع أصابعه إلا الإبهام فإن هؤلاء تجمع دنياك وآخرتك).(36)

قوله: **اغفر لي**: أي استر ذنوبي وتجاوز عن عيوبي ، وأصل الغَفْر التغطية ، والمغفرة : إلباس الله تعالى العفوَ للمذنبين .وقوله: **وارحمني**: الرحمة هي الرقة والعطف .

وعافني: العَفْو هو التجاوزُ عن الذَّنْب وتركُ العِقَاب عليه ، وأصله المَحْوُ والطَّمْسُ ، فالعفو : محو الذنوب ، **والعافية** : أن تسلم من الأسقام والبلايا .**وارزقني**: أي انفعني وهب لي .

*** *** ***

5/ الإكثار من ذكر الله تعالى يجعل الذاكر أفضل من كثير من المؤمنين : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سِيْرُوا هَذَا جَمَدَان سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ). قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: (الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيْراً وَالذَّاكِرَاتِ) رواه مسلم .

قال المناوي في فيض القدير: سبق المفردون أي المنفردون المعتزلون عن الناس من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله، أي سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى.

30- أخرجه البخاري في كتاب الدعوات رقم (6407)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين برقم (1820) .

31- فتح الباري (210/11) .

32- أخرجه مسلم .

لتكون أخي الحبيب من هؤلاء لا بد من أمرين : الحضور والاستحضار. باعتبار أن الأول أي الحضور يعني به حضور القلب بين يدي الله تعالى عابدا متبتلا، و أن الاستحضار مطالعة الروح لمقاصد العبارات من الأذكار والآيات وتبين آثارها في النفس وتتبع مشاهدها في الكون تفكرا وتدبرا[37].

وذلك معنى حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- عن (الإحسان): (أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فهو يراك) .

6/ نزول الرحمة على الذاكرين وذكر الله لهم في الأعلى تشريفا وتكريما لهم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

وفي رواية (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) .. إلخ[38].

***　　　***　　　***

7/ الإكثار من الذكر يكون عوضا عن قيام الليل والجهاد والنفقة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ الله) [39].

ويشير إلى هذا المعنى الحديث آنف الذكر :(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعمَالِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ) الخ .

قال بعض العلماء :

الأعمال الصالحة إما واجبات وإما مستحبات فأمّا الواجبات فلا يسدّها شيء، وأمّا المستحبات فلا شكّ أنّ الذّكر يسدّ أبوابها ،وعليه يُحمل الحديث ، ونلحظ قوله صلّى الله عليه وسلّم آخر الحديث: (فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ الله)، فهو يأمر بالإكثار دائما.

38/ سيأتي شرحه مطولا إن شاء الله – ص (126). .

39/ أخرجه عبد بن حميد – حديث (641) ، والطبراني في الكبير- (11 / 84) ، والبيهقي في الشعب - (1 / 319 ، 425) وقال الالباني في صحيح الترغيب والترهيب: (صحيح لغيره) - حديث رقم (1496) . (موقع الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

/8 الذكر سبب للنجاة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة : عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**ما عمل آدمي عملا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى**) **قيل : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : (ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع**) [40].

*** *** ***

/9 الذاكر في معية الله تعالى : عن أبي هُرَيرة - رضي الله عنه - قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : (يقولُ الله: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، و أنا معَهُ إذا ذكرَني، فإنْ ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم) . رواه البخاري ومسلم.

وعنه رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (يَقُولُ اَللَّهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ) [41].

من أبرز فوائد الحديث :

1- أن معية الله للذاكر تكون إذا اتفق القلب واللسان؛ لقوله: **(أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)**، فإذا اجتمع القلب واللسان فإن الله تعالى يكون مع الذاكر المعية الخاصة، التي تتضمن الإعانة والتوفيق.وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة، والمعية تنقسم إلى قسمين: معية خاصة، ومعية عامة، والمعية الخاصة تكون لبعض العباد، وتكون للنصرة والتأييد والإعانة والتوفيق، كما قال الله تعالى: **(قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)** [طه: 46] .**قال ابن القيم رحمه الله** : **(لو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلًا وشرفًا)**.
2- إن الله العظيم رب كل شيء، يذكرك أنت أيها العبد الضعيف الفقير، هذا من الأمور العظيمة، ومن الشرف الكبير .
3- أن العبد إذا ذكر الله تعالى في نفسه، ذكره الله تعالى في نفسه، ومعنى أن العبد يذكر الله في نفسه يعني: منفردًا عن الناس، ليس عنده أحد، فإن الله تعالى يذكره في نفسه، وهنيئًا لمن ذكره الله عز وجل في نفسه.

/40 رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح وقال الالباني في صحيح الترغيب والترهيب (حسن لغيره) - حديث رقم -1497-(موقع الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

/41 رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه . حديث رقم: (3074) -(موقع الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

4- إن ذكر العبد ربه في ملإٍ ؛ يعني في جماعة من الناس، ذكره الله تعالى في ملإٍ خير منه؛ أي عند ملائكة كرام، خير من الناس، الذين ذكر الله تعالى عندهم..

جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: وَإِن ذَكرنِي فِي مَلأ . أَي: فِي جمَاعَة، ذكرته فِي مَلأ خير مِنْهُم يَعْنِي الْمَلَائِكَة المقربين .

5- أنه يدل على فضل الجهر بذكر الله عز وجل، في المجالس ونحوها، إذا ذكرت الله في مجلس عند أناس، يذكرك الله في ملإ خير منه، عند الملائكة، ولذلك ينبغي أن تكون مجالس الناس عامرة بذكر الله عز وجل[42].

10/ الذكر يُنجِّي عن الرجلِ من وساوس الشيطانَ : عن أنسٍ أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (إذا خرَج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكَّلتُ على الله، لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله، يُقال له: حسبُك، هُدِيت، وكُفِيت، ووُقِيت، وتنحَّى عنه الشيطان)؛ رواه الترمذي والنسائي وأبو داود.

11/ أهل الذكريقومون عن مجلسهم مغفورا لهم قد بدلت سيئاتهم حسنات :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عزوجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات) [43].

وعن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل فيه فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر الله لكم وبدلت سيئاتكم حسنات) [44].

12/ الذاكر يتنعم بظل الله عز و جل يوم لا ظل إلا ظله : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) ومنهم (رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) أخرجه البخاري. وهناك رواية: (فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّه).

(خالياً) فهو خالي القلب مما سوى الله عز وجل ، خالي الجسم أيضاً، ليس عنده أحد حتى لا يكون بكاؤه رياء وسمعة، فهو مخلص القلب .

42/ شرح حديث (يقول اَللَّهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي) - الموقع الرسمي للشيخ سعد الخثلان – وموقع إسلام ويب .

43/ رواه أحمد وروا ته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي و أبو يعلى والبزاروالطبراني وقال الالباني في صحيح الترغيب والترهيب : (حسن لغيره) - حديث رقم –(1504) .

44/ رواه الطبراني وقال الالباني في صحيح الترغيب والترهيب (صحيح لغيره) - حديث رقم –(1506) .

ذكَرَ الله خالي القلب ، لا يفكر في شيء غير الله ، لو فكر في شيء لم يحصل له البكاء من خشية الله أو الشوق إليه ؛ لأنه لا يمكن أن يبكي الإنسان وقلبه مشغول بشيء آخر ،إذ كيف تبكي شوقاً إلى الله وخوفاً منه وقلبك مشغول بغيره؟ .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) : لقد أثنى الله في كتابة الكريم في أكثر من موضع على البكائين من خشيته تعالى فقال جل شأنه : (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) الإسراء (107-109) .

وقال تعالى :(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) مريم *(58).*

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم) رواة الترمذى .

لكن البكاء بحضرة الناس في إشكال فما أكثر الذين يبكون إذا رأوا الناس يبكون !بل ما أسرع ذلك عند النساء؛ وهذا من باب التأثر والانفعال بالموقف كالمواقف الحزينة ، والمشاهد الدامية أو تأثرا بصوت قارئ يصلى وراءه ،أو شيخ واعظ .

وهذه طبيعة الإنسان إذا حضر مع قوم يضحكون ليس من الغريب أن يضحك معهم، وحينما يجلس مع قوم يبكون ليس غريباً أن يبكي أو يتباكى معهم.

ولهذا من رزق قوة الإيمان وصدق اليقين فإنه سيبكي وحده، أن يبكي ولا يراه إلا الله، أن يبكي بكاءً لا يعرفه من حوله، تنحدر من عينه قطرات ساخنة ودمع حار متتابع، يسيل على وجنتيه ولا يعرف من بجواره أنه بكى.

أما الصياح والضجيج ورفع الأصوات والمبالغة فليس من ذلك في شئ.

مر الشافعي رحمه الله برجل يبكي في المسجد، فقال: ما أطيب هذه الدموع ولو كنت وحدك لكانت أطيب [45].

45/ ذكر الإمام ابن القيم رحمه تعالى عشرة أنواع للبكاء هي:

بكاء الخوف والخشية -بكاء الرحمة والرقة .- بكاء المحبة والشوق .- بكاء الفرح والسرور.- بكاء الجزع من ورود الألم وعدم احتماله .- بكاء الحزن ، وفرَّقه عن بكاء الخوف : أن الأول -" الحزن " - يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب

قلت : تأمل أخي الحبيب دقة كلام الشافعي فإنه لم يتهم الرجل بالرياء بل أثنى عليه بقوله : (ما أطيب هذه الدموع) فهي مقبولة عند الله تعالى ، ثم أرشده إلى درجة أعلى وهي أن تكون تلك الدموع سرا بينه وبين ربه حيث لا يراه أحد من الناس .

ويطيب لي أن أنبه في هذا المقام إلى ما هو قريب من هذا ألا وهو أن البعض قد يبدأ بالبكاء مخلصا – أثناء التراويح مثلا – ولكنه قد يتحول إلى رياء فيرفع صوته ويزداد بكاؤه عندما يشعر بأن المصلين بجواره لاحظوه وهو يبكي ،بينما كان الواجب عليه أن يرد البكاء عن نفسه قدر المستطاع ولا يتمادى فيه حفظا لنفسه من الفرح بعلم الناس ببكائه من خشية الله تعالى ، والله أعلم .

13/ أهل الذكر يبعثون يوم القيامة على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس : عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لَيَبْعَثَنَّ اللهُ أَقْوَامًا يَوْمَ القِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ)** قَالَ: فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! حَلِّهِمْ لَنَا نَعْرِفْهُمْ ! قَالَ:**(هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى، وَبِلاَدٍ شَتَّى، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ يَذْكُرُونَهُ)** [46].

14- أن كل العبادات التي شرعها الشرع الكريم قد حددَّ لها زمنا ووقتا وعددا لا يصح أن نتعدَّاه أبداً، إلا الذكر، فلقد جعله الإسلام مطلقا إلا في بعض الأحيان، فقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: 152] وقال: ﴿**اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الأحزاب: 41، 42].وقد سبقت.

15- ومن أهمية الذكر وفضله أنه فارق بيّن بين المؤمنين الصادقين، وبين المنافقين الذين يدَّعون الإيمان بين الصف المسلم، فالمنافق هو رجل لا يذكر الله تعالى إلا قليلا، قال تعالى في حقهم : ﴿**وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: 142].

*** *** ***

وبكاء الخوف : يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك ، والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان ، ودمعة الحزن : حارة والقلب حزين ، ولهذا يقال لما يُفرح به هو " قرة عين " و أقرّبه عينه ، ولما يُحزن : هو سخينة العين ، وأسخن الله به عينه.

- بكاء الخور والضعف .

- بكاء النفاق وهو : أن تدمع العين والقلب قاس .

- البكاء المستعار والمستأجر عليه ، كبكاء النائحة بالأجرة فإنها كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (تبيع عبرتها وتبكي شجو غيرها) .

- بكاء الموافقة : فهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون. (نقلا عن موقع الكلم الطيب) .

46/ أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب وقال : إسناده حسن وقال الالباني في صحيح الترغيب والترهيب (صحيح) - حديث رقم –(1509) .

فائدتان مهمتان [47] :

الفائدة الأولى : الدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله**) ، وقد سبق ذكره . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: ﴿**ذكر الله**﴾ قيل: الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: (**لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما لكان الذاكر أفضل منه**). رواه الترمذي .

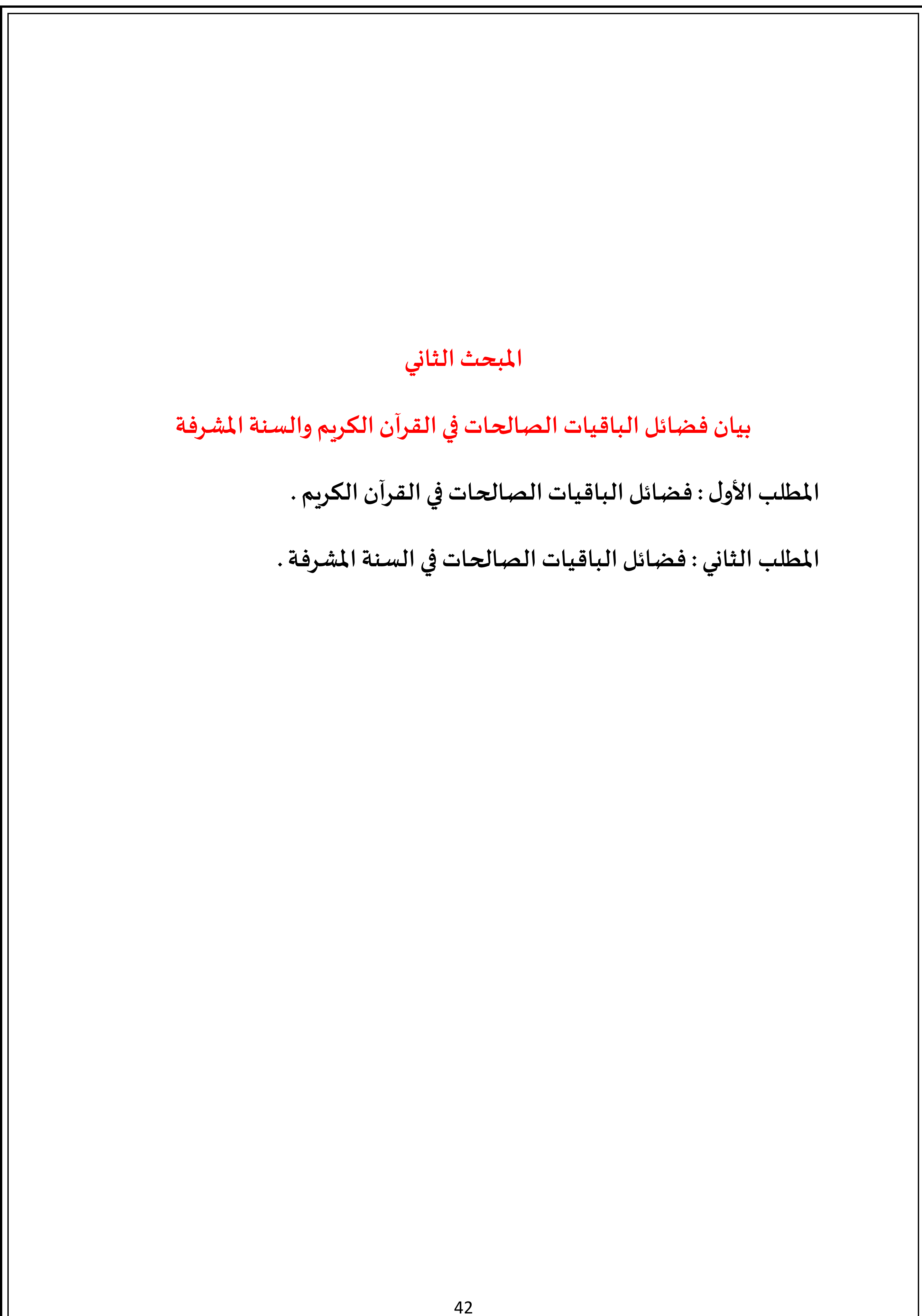
الوجه الثاني : أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر، أو أثنى على الذاكرين اشترط فيه الكثرة، فقال: (**اذكروا الله ذكرا كثيرا**) [الأحزاب: 41]، (**والذاكرين الله كثيرا**) [الأحزاب: 35] ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث : للذكر مزية خاصة به وليست لغيره، وهي الحضور في الحضرة العلية، والوصول إلى القرب الذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: (**أنا عند ظن عبدي بي و أنا معه إذا ذكرني**) متفق عليه . وفي رواية البيهقي: (**و أنا معه حين يذكرني**).

الفائدة الثانية : للناس في المقصد بالذكر مقامان: فمقصد العامة اكتساب الأجور، ومقصد الخاصة القرب والحضور، وما بين المقامين بون بعيد. فكم بين مَنْ يأخذ أجره وهو مَنْ وراء حجاب، وبين مَنْ يقرَّب حتى يكون مَنْ خواص الأحباب . **اللهم اجعلنا من خواص أحبابك بجودك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين .**

*** *** ***

47- الفائدتان الأولى والثانية من مقال : درر من تفسير ابن جزي الغرناطي (مقام الذكر) - د. عبد الهادي السلي – بتصرف .



المبحث الثاني

بيان فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم والسنة المشرفة

المطلب الأول : فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : فضائل الباقيات الصالحات في السنة المشرفة .

المطلب الأول

فضائل الباقيات الصالحات في القرآن الكريم

وردت فضائل الباقيات الصالحات في القرآن مجملة ومفصلة ، وأعني بالمفصلة الآيات التي تحث على الحمد على حدته أو التهليل على حدته ونحوها وسيأتي ذكرها في مواضعها ، إن شاء الله تعالى .

وأما فضائلها مجملة فقد وردت في آيتين إحداهما في سورة الكهف والأخرى في سورة مريم وهما موضع حديثنا في هذا المطلب :

فقد بين الله تعالى فضلها و أثنى عليها قائلا : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) سورة الكهف (46) ،

قال جمهور المفسرين : هي الكلمات المأثور فضلها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبرولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [48] .

وروى ابن جرير الطبري عن عمارة بن صياد قال: (سألني سعيد بن المسيب رحمه الله عن الباقيات الصالحات ، فقلت: الصلاة والصيام، قال: لم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

و أثر ابن المسيب هذا يوهم أن الباقيات الصالحات محصورة في هؤلاء الكلمات الخمس، والذي عليه المحققون من أهل العلم أن الباقيات الصالحات هن جميع أعمال الخير، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (والباقيات الصالحات) قال: (هي ذكر الله، قول لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله، والصيام والصلاة والحج

48- كذا قال القرطبي و انظر تفسير الجلالين وتفسير ابن كثير ونَسب هذا القول إلى عطاء ومجاهد ، وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: و أقوال العلماء في الباقيات الصالحات كلها راجعة إلى شيء واحد، وهو الأعمال التي ترضي الله، سواء قلنا: إنها الصلوات الخمس، كما هو مروي عن جماعة من السلف. منهم ابن عباس، وسعيد ابن جبير، و أبو ميسرة، وعمرو بن شرحبيل. أو أنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وعلى هذا القول جمهور العلماء.

والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض) [49].

و أثنى الله تعالى عليها ثناءً آخر فقال جل في علاه : (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا) سورة مريم(76) .

قال السعدي رحمه الله تعالى : ومناسبة ذكر الباقيات الصالحات-والله أعلم- أنه لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر، ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله ويرضاه.

*** *** ***

ولنعلم مكانة الباقيات الصالحات تعالوا بنا نستمتع بهذا الكلام الرائع [50] :

لما بين تعالى أن الدنيا - المتمثلة في المال والبنين والشهوات - سريعة الانقراض والانقضاء، مشرفة على الزوال والبوار والفناء، بيَّن تعالى أن ما كان كذلك ، فإنه يقبح بالعاقل أن يفتخر به أو يفرح بسببه أو يقيم له في نظره وزنا ، فهذا برهان باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأولاد ، ثم ذكر تعالى ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار من الأغنياء ، فقال : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) وتقرير هذا الدليل على أن خيرات الدنيا منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية ، والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضي ، وهذا معلوم بالضرورة ، لا سيما إذا ثبت أن خيرات الدنيا خسيسة حقيرة.

و أقول : خلاصة القول أن هذه الكلمات المباركة ذوات النفع العميم في الدنيا والآخرة وعظيم فضلها سماها الله تعالى في كتابه بالباقيات الصالحات.

49- رسالة الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية – للدكتور البدر – ص (69) نسخة إلكترونية في المكتبة الشاملة الحديثة .

50- تفسير الفخر الرازي – باختصار وتصرف .

ولحجة الإسلام الغزالي -رحمه الله- في تفسير هذه الكلمات وجه لطيف [51] ، فقال : روي أن من قال : سبحان الله حصل له من الثواب عشر مرات ، فإذا قال : والحمد لله صارت عشرين ، فإذا قال : ولا إله إلا الله صارت ثلاثين ، فإذا قال : والله أكبر صارت أربعين .

قال : وتحقيق القول فيه : أن أعظم مراتب الثواب هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته ، فإذا قال : سبحان الله فقد عرف كونه سبحانه منزها عن كل ما لا ينبغي ، فحصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة .

فإذا قال مع ذلك : والحمد لله فقد أقرَّ بأن الحق سبحانه مع كونه منزَّها عن كل ما لا ينبغي ، فهو المبدأ لإفادة كل ما ينبغي ولإفاضة كل خير وكمال ، فقد تضاعفت درجات المعرفة ، فلا جرم قلنا : تضاعف الثواب .

فإذا قال مع ذلك : لا إله إلا الله ، فقد أقر بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي ، فهو المبدأ لكل ما ينبغي وليس في الوجود موجود هكذا إلا الواحد ، فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة ، فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة .

فإذا قال : والله أكبر معناه أنه أكبر وأعظم من أن يصل العقل إلى كنه كبريائه وجلاله ، فقد صارت مراتب المعرفة أربعة ، لا جرم صارت درجات الثواب أربعة .

*** *** ***

وللعلامة الساحلي كلام قريب من هذا حيث يقول [52]:

جاء صلى الله عليه وسلم بذكر التنزيه إشعارًا بأن الله تعالى منزّه عن التغيير والتبديل، حفظًا للنفس من طوارق التشبيه، وصونًا لها م لحوق كيد الأوهام، ومن هذا القبيل هي مشروعية

51- نقلا عن تفسير الرازي . ولم أجد حديثا فيه الفضل المذكور ولكن وجدت حديثا آخر يقرب منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال سبحان الله، كُتبت له عشرون حسنة وحُطَّت عنه عشرون سيئة، ومن قال الله أكبر، فمثل ذلك، ومن قال لا إله إلا الله، فمثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين مِن قِبَل نفسه كُتبت له ثلاثون حسنة وحُطّت عنه ثلاثون سيئة) . قال المنذري في الترغيب: رواه أحمد و ابن أبي الدنيا والنسائي واللفظ له، والحاكم بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم. والحديث صححه الألباني.

52- بغية السالك – ص (43-44) .

استعمال التسبيح للساهي افي الصلاة، فإن ذكر التسبيح أخص الأذكار بهذا الحال وما يضارعها.

-ومن ذلك ما شرَّعه - صلوات الله وسلامه عليه - لأمته من الذكر في أيام الأعياد نفيًا للعلل الطارئة عليهم فيها، الطارقة لنفوسهم بسببها .

*** *** ***

قلت : ومن العلل الخطيرة التي تطرأ على النفس الإعجاب بعد انتهائه من الصوم والحج وهما عملان عظيمان شاقان فأمر الله تعالى العبد بالتكبير لكي يزيل عن نفسه ذلك الإعجاب المتمثل في ظنه أنه هو الفاعل استقلالا ناسيا توفيق الله تعالى له وفضله عليه .

قال تعالى : (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) النور (21) .

فـ (لا إله إلا الله): نفي لعلة سكون النفس إلى البسط المشروع في الأعياد،والميل ألى متاع الدنيا.

و(الله أكبر): طرد لعلة استكثار النفس عدد الخلق عند بروزهم، واستكبارها بإظهار التجمل.

و(سبحان الله): إخماد لعلة النفي في انفعالها لما ظهر على الخلق من تحولهم من حال إلى حال.و(الحمد لله): محو لعلة النفي في نسيان المنعم بالنعم، لتقوم بحق المحسن المنان.

و(لا حول ولا قوة إلا بالله): إخراج النفس من علة الركون إلى تدبيرها في ركونها.

*** *** ***

وهناك تلازم بين هذه الكلمات الأربع[53] :

هؤلاء الكلمات كما أوضح أهل العلم شطران، فالتسبيح قرين التحميد، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم). أخرجاه في الصحيحين .

53- خاتمة رسالة دراسات في الباقيات الصالحات .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي ذررضي الله عنه : (أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده) .

وفي القرآن يقول الله تعالى - حكاية عن الملائكة - : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) سورة البقرة (30)، وقال: {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تو ابا} سورة النصر، الآية (3)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي)، يتأول القرآن .كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [54].

فجعل قوله: (سبحانك اللهم وبحمدك) تأويلا للآية الكريمة :(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ) سورة النصر (3) ، وقد قال تعالى: (فَاصْبِرْإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْلِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) سورة غافر (55)، وقال: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) سورة الروم، (17، 18) والآثارفي اقترانهما كثيرة.

*** *** ***

وأما التهليل فهو قرين التكبير كما في كلمات الأذان: الله أكبرالله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله، ثم بعد دعاء العباد إلى الصلاة الله أكبرالله أكبرلا إله إلا الله، فهو مشتمل على التكبير والتشهد في أوله وآخره، وهو ذكر لله تعالى، وفي وسطه دعاء الخلق إلى الصلاة والفلاح، فالصلاة هي العمل، والفلاح هو ثواب العمل، لكن جعل التكبير شفعا والتشهد وترا، فمع كل تكبيرتين شهادة، وجعل أوله مضاعفا على آخره، ففي أول الأذان يكبر أربعا، ويتشهد مرتين، والشهادتان جميعا باسم الشهادة، وفي آخره التكبير مرتان فقط مع التهليل الذي لم يقترن به لفظ الشهادة.

وكما جمع بين التكبيروالتهليل في الأذان جمع بينهما في تكبيرالإشراف، فكان على الصفا والمروة، وإذا علا شرفا في غزوة أو حجة أو عمرة يكبر ثلاثا ويقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصرعبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده) يفعل ذلك ثلاثا، وهذا في الصحاح [55].

54- صحيح البخاري (رقم:817) ، وصحيح مسلم (رقم:484) .

55- صحيح البخاري (رقم:1797) وصحيح مسلم (رقم:1344) .

وكذلك كبر ثلاثا وهلل ثلاثا عند ركوبه الدابة فجمع بين التكبير والتهليل، وكذلك حديث عدي بن حاتم الذي رواه الترمذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (يا عدي ما يفرك؟ أيفرك أن يقال: لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله إلا الله؟ يا عدي ما يفرك؟ أيفرك أن يقال: الله أكبر فهل من شيء أكبر من الله" فقرن النبي صلى الله عليه وسلم بين التهليل والتكبير.

*** *** ***

المطلب الثاني

فضائل الباقيات الصالحات في السنة المشرفة

1/ الباقيات الصالحات جُنَّة من النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(خُذوا جنَّتَكم) قُلْنا : يا رسولَ اللهِ مِن عدوٍّ حضَر؟ فقال : (خُذوا جنَّتَكم مِنَ النَّارِ، قولوا سبحانَ اللهِ ، و الحمدُ للهِ ، ولَا إلهَ إلَّا اللهِ ، واللهُ أكبرُ، فإنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقدِّماتٍ وَمُعقِّبَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) [56] .

قوله صلى الله عليه وسلم (فإنَّهُنَّ)، أي: فإنَّ هذه الكَلِماتِ، (يَأْتينَ يومَ القِيامَةِ مُقدِّماتٍ) أي: يَتقدَّمْنَ صاحبَها يومَ القِيامةِ، (ومُعقِّباتٍ)، أي: هُنَّ كلِماتٌ يَأْتي بعْضُها عقِبَ بعْضٍ، (ومُجَنِّباتٍ)، أي: هي التي تكونُ في المَيْمَنةِ والمَيْسَرةِ، فكأنَّهن جَيْشٌ من جِهَةِ قائِلِهِنَّ تَسْتُرْنَهُ عن النارِ.

(وهُنَّ الباقياتُ الصَّالِحاتُ)، أي: باقياتٌ لصاحِبِها وصالحاتٌ لجَزيلِ ثَوابِها في المعادِ وحينَ الحاجَةِ [57] .

2/ الباقيات الصالحات تغرس لقائلها غرساً في الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مربه وهو يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما الذي تغرس قلت غراسا لي قال : (ألا أدلك على غراس خير لك من هذا ؟) قال : بلى يا رسول الله قال : (قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة) [58].

و هذه رسالة الخليل ابراهيم عليه السلام لنا معاشر أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، فعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي فقالَ : يا

56- رواه النسائي واللفظ له والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (3214).

57- الموسوعة الحديثية - الدرر السنية .

58- رواه ابن ماجه و صححه الشيخ الألباني .

محمَّدُ ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ ، وأنَّها قيعانٌ ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبرُ) [59]رواه الترمذي و حسنه الشيخ الألباني ،ورواه الطبراني وزاد فيه : (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

3/ الباقيات الصالحات سبب لزيادة للحسنات :

عن أبي هريرة و أبي سعيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنَّ اللهَ اصطفى مِنَ الكلامِ أربعًا : سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ، فمَن قال : سبحانَ اللهِ كُتِبَ له عشرون حسنةً وحُطَّتْ عنه عشرون سيِّئةً ومَن قال اللهُ أكبَرُ فمِثْلُ ذلك ومَن قال لا إلهَ إلَّا اللهُ فمِثْلُ ذلك ومَن قال الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ مِن قِبَلِ نفسِه كُتِبَتْ له ثلاثون حسنةً وحُطَّتْ عنه ثلاثون سيِّئةً) [60].

*** *** ***

4/ الباقيات الصالحات سبب لحط الخطايا:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصنا فنفضه فلم ينتفض ثم نفضه فلم ينتفض ثم نفضه فانتفض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها) [61] .

وفي رواية للترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصا فتناثر ورقها فقال : (إن الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة) .

59- قوله صلى الله عليه وسلم : "وأخبِرْهم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عَذبةُ الماءِ"، أي: و أبلِغْهم أيضًا أنَّ الجنَّةَ تُربتُها طيِّبةٌ وماؤُها عَذبٌ، "وأنَّها قِيعانٌ"، أي: وأخبِرْهم أنَّ تُربةَ الجنَّةِ قِيعانٌ، جمعُ قاعٍ، أي: أرضٌ مُستويةٌ مُتساويَةٌ، "وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبَرُ"، أي: وأخبِرْهم أنَّ الَّذي يُغرَسُ به في تُربةِ الجنَّةِ التَّسبيحُ والتَّحميدُ والتَّهليلُ والتَّكبيرُ، وهذا مِثلُ قولِه صلَّى الله عليه وسلَّم: "مَن قال: سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبِحَمدِه، غُرِسَت له نَخلةٌ في الجنَّةِ"؛ فالإكثارُ مِن ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن أجَلِّ الطَّاعاتِ، ومِن أوسَعِ أبوابِ إكثارِ الحَسَناتِ وتَكفيرِ السَّيِّئاتِ، وسَببٌ في دُخولِ الجَنَّاتِ.(الموسوعة الحديثية - الدرر السنية) .

60- رواه أحمد وصححه محقق المسند العلامة أحمد شاكر – (227/15).

61- رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم : (ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كُفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) رواه أحمد وغيره . فزاد في هذه الرواية (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

5/ الباقيات الصالحات هي الأثقل في الميزان:

عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بخ بخ وأشار بيده (لخمس ما أثقلهن في الميزان سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه) [62].

*** *** ***

6/ الباقيات الصالحات لها دوي كدوي النحل حول عرش الرحمن :

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ مِمَّا تَذكُرون مِن جلالِ اللهِ ؛ التَّسبيحَ والتَّهليلَ والتَّحميدَ ، ينعطفْنَ حولَ العرشِ ، لهنَّ دَوِيٌّ كدَويِّ النَّحلِ ، تُذَكِّرُ بصاحبِها.أمَّا يحبُّ أحدُكُم أن يكون لهُ أو لا يَزالُ لهُ مَن يُذكِّرُ بهِ)[63].

لذِكْرُ اللهِ تعالى بقلْبٍ خاشعٍ له فضْلٌ كَبيرٌ، وقد حَثَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على تَرطيبِ الألْسِنةِ بذِكْرِ اللهِ، وتَعميرِ القُلوبِ به.

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (إنَّ ممَّا تذكُرونَ مِن جَلالِ اللهِ)، أي: تَعظيمِه (التَّسبيحَ)، وهو قولُ: سُبحانَ اللهِ، وما شابَه ذلك .

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (يَنْعَطِفْنَ حَولَ العرْشِ)، أي: هؤلاء الكلماتُ والجُمَلُ الأربعُ يَمِلْنَ ويَدُرْنَ حولَه، والمُرادُ طَوافُهنَّ حَولَ العرشِ، (ولهنَّ دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحلِ)، أي: صَوتٌ يُشْبِهُ صَوتَ النَّحلِ؛ مِن كثرةِ تَكرارِ هذه الكلماتِ وتَردِيدِها.

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (تُذَكِّرُ بصاحبِها)، أي: تذكُرُ أنَّ قائلَها فلانٌ، في المَقامِ الأعلى، وفي هذا أعظَمُ حَضٍّ على الذِّكْرِ بهذه الألفاظِ .

62- رواه النسائي و ابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم .

63- رواه ابن أبي الدنيا و ابن ماجه واللفظ له والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (أَمَا يُحِبُّ أحدُكم أنْ يكونَ له- أو لا يزالَ له- مَن يُذَكِّرُ به)، أي: عندَ اللهِ وحَولَ عرْشِه. وهذا مِن الحَثِّ على الاستكثارِ مِن هذا الذِّكْرِ[64].

*** *** ***

/7 الباقيات الصالحات أحب الكلام إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم : عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا يضر بأيهن بدأت) رواه مسلم .

وفي صحيح مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) .

قال بعض العلماء : المراد بقوله (ما طلعت عليه الشمس) منذ أن خلقها الله تعالى ، ونقول انظر إلى ما طلعت عليه الشمس في يومك هذا من البنوك والسيارات والمزارع والمصانع .. إلخ فهل يستطيع أحد أن يحصي ذلك ؟ فالباقيات الصالحات خير من ذلك لأنها باقية وما عداها كله إلى زوال .

/8 الباقيات الصالحات تعدل عتق الرقاب والجهاد في سبيل الله بالجياد من الخيل والجمال:
عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إني قد كبرت وضعفت ، أو كما قالت ، فمُرني بعمل أعمله و أنا جالسة . قال : (سبِّحي اللهَ مائةَ تسبيحةٍ فإنها تعدلُ لك مائةَ رقبةٍ تعتقينها من ولدِ إسماعيلَ واحمدي اللهَ مائةَ تحميدةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ فرسٍ مُسرجةٍ مُلجمةٍ تحملين عليها في سبيلِ اللهِ وكبري اللهَ مائةَ تكبيرةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ بدنةٍ مُقلدةٍ متقبلةٍ وهللي اللهَ مائةَ تهليلةٍ ، قال ابن خلف - الراوي عن عاصم -أحسبه قال : تملأُ ما بين السماءِ والأرضِ ولا يرفعُ يومئذٍ لأحدٍ عملٌ أفضلُ مما يرفعُ لكِ إلا أنْ يأتيَ بمثلِ ما أتيتِ)[65].

وفي رواية (من قال : (سبحانَ اللهِ) مئةَ مرةٍ قبل طلوعِ الشمسِ وقبل غروبِها ؛ كان أفضلَ من مئةِ بدنةٍ ، ومن قال : (الحمدُ لله) مئةَ مرةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها ؛ كان أفضلَ من

64- الموسوعة الحديثية - الدرر السنية .

65- هذا الحديث حسنه جمع من أهل العلم ولا حرج في العمل به، فقد حسنه المنذري والهيثمي فقال فيه المنذري في الترغيب: رواه أحمد بإسناد حسن. اهـ وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفي الأوسط وأسانيدهم حسنة. كما حسنه الدمياطي في المتجر الرابح –(217) .

مئةِ فرسٍ يُحمَلُ عليها في سبيلِ اللهِ ، ومن قال : (اللهُ أكبرُ) مئةَ مرةٍ ، قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها ، كان أفضلَ من عتقِ مئةِ رقبةٍ ، ومن قال : (لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، له الملكُ ، وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ) مئةَ مرةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها ، لم يَجيءْ يومَ القيامةِ أَحَدٌ بعملٍ أفضلَ من عملِه ، إلا من قال مثلَ قوْلِه ، أوزاد عليه) [66].

9/ الباقيات الصالحات من أطيب الكلام وخير الكلام : فعن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا حَدَّثتُكَ حديثًا، فلا تَزيدَنَّ عليَّ، وقال: أربعٌ مِن أطيَبِ الكَلامِ، وهنَّ مِن القُرآنِ، لا يَضُرُّكَ بأيِّهنَّ بَدَأتَ: سُبحانَ اللهِ، والحَمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ) أخرجه مسلم (2137) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير الكلام أربع، لا تبالي بأيتهن بدأت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) أخرجه مسلم.

10/ الباقيات الصالحات سبب في إجابة الدعاء وقبول الصلاة: عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من تعارَّمنَ الليلِ فقال : لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. الحمدُ للهِ وسبحانَ اللهِ ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ ، ثم قال: اللَّهم اغفِرلي، أو دعا استُجيب له، فإن توضَّأَ وصلَّى، قُبلت صلاتُه) أخرجه البخاري رقم: (1103).

***　　　***　　　***

11/ الباقيات الصالحات يعدِلْن الإنفاق والجهاد وقيام الليل :

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله قسَّم بينكم أخلاقَكم، كما قسَّم بينكم أرزاقَكم، وإنَّ الله يُعطي الدنيا مَن يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا مَن أحبَّ، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليُكثِر من قول: سبحان الله [والحمد لله] ولا إله إلا الله والله أكبر) [67].

66- أخرجه النسائي في الكبرى وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب – رقم (658).

67- أخرجه الإسماعيلي في المعجم (114 / 1)، وقال الألباني: "هذا إسناد صحيح، رجاله على شرط مسلم كلهم، إلا الجوهري - وهو عياش بن محمد بن عيسى أبو الفضل - وقد وثقه الخطيب في التاريخ (279/12)، وتابعه جمع عند الحاكم (33/1):

12/ الباقيات الصالحات تعطي صاحبها قوة بدنية لأداء الأعمال الدينية والدنيوية:

عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَبْيٌ ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ ، فَأَخْبَرَتْهَا ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْنَا ، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا ، فَذَهَبْتُ لأَقُومَ فَقَالَ (عَلَى مَكَانِكُمَا) . فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ (أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْراً مِمَّا سَأَلْتُمَانِي إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلاَثِينَ ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ ، فَهْوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ) . رواه البخاري ومسلم .وفي الصحيحين قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه (مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم). قِيلَ لَهُ وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ قَالَ : (وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينِ) .

يقول ابن حجر رحمه الله تعالى : وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه و سلم على ذلك , كذا أفاده بن تيمية وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب والله اعلم [68].

13/ الباقيات الصالحات يسبق قائلهن غيره بالمواظبة على بعضها بعد الصلوات :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ- أصحاب المال الكثير- مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: (أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بأمر إِنْ أَخَذْتُم به أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ)، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ). رواه الشيخان وغيرها .

الصحيحة (482/6) رقم: (2714). (نقلا عن مقال : فضائل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وثمارها العظام – بكر البعداني – شبكة الألوكة الشرعية).

68- فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر.

14/ الباقيات الصالحات تقوم مقام الصدقة بالمال :

عَنْ أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنَّ ناساً قالوا: يَا رسُولَ اللَّهِ، ذَهَب أهْلُ الدُّثُور بالأجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّى، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بَفُضُولِ أمْوَالِهِمْ قال: (أوَلَيْس قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ؟! إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدقَةً، وكُلِّ تَكبِيرةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَحْمِيدةٍ صَدَقَةً، وكلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدقَةً، وأمرٌ بالمعْرُوفِ صدقةٌ، ونَهْيٌ عن المُنْكر صدقةٌ وفي بُضْعِ أحدِكُمْ صدقةٌ) قالوا: يَا رسولَ اللَّهِ أيَأتِي أحدُنَا شَهْوَتَه، ويكُونُ لَه فِيهَا أجْر؟ قَالَ: (أرأيْتُمْ لَوْ وضَعهَا في حرامٍ أَكَانَ عليهِ وِزْرٌ؟ فكذلكَ إذَا وضَعهَا في الحلاَلِ كَانَ لَهُ أجْرٌ) رواه مسلم.

15/ الباقيات الصالحات تقوم مقام شكر الله على نعمة عافية البدن :

عن أَبِي هريرةَ رضي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ علَيْهِ صدَقةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تعدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صدَقَةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دابَّتِهِ، فَتحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أوْ ترْفَعُ لَهُ علَيْهَا متَاعَهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطَّيِّبةُ صدَقةٌ، وبِكُلِّ خَطْوَةٍ تمْشِيها إلَى الصَّلاَةِ صدقةٌ، وَتُميطُ الأذَى عَن الطرِيقِ صَدَقَةٌ) متفق عليه.

وعن عائشة رَضي اللَّه عنها قالت: قالَ رسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: (إنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِنْ بني آدم علَى سِتِّينَ وثلاثمائَةِ مَفصِلٍ، فَمنْ كَبَّر اللَّه، وحمِدَ اللَّه، وَهَلَّلَ اللَّه، وسبَّحَ اللَّه واستَغْفَر اللَّه، وعَزلَ حَجراً عنْ طَرِيقِ النَّاسِ أوْ شَوْكَةً أوْ عظْماً عَن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ أمَرَ بمعرُوفٍ أوْ نهى عنْ مُنْكَرٍ، عَددَ السِّتِّينَ والثَّلاَثمائة، فَإنَّهُ يُمْسِي يَوْمئِذٍ وَقَد زَحزَحَ نفْسَهُ عنِ النَّارِ) رواه مسلم .

قال ابن علان رحمه الله : قوله (كل يوم تطلع فيه الشمس) أتى به دفعاً لتوهم الاكتفاء في أداء شكر نعم هذه الأعضاء بالإتيان بما في الحديث مرة، فنبه على أن ذلك مطلوب من الإنسان كل يوم شكراً لسلامتها فيه .

قوله :(فإنه يمسي يومئذٍ وقد زحزح) أي: باعد (نفسه عن النار) بالتقرّب لمولاه بأنواع الطاعات، وشكر ما أنعم به عليه من إيجاد تلك الأعضاء سالمة.

ويلزم من ذلك القيام بالواجبات وترك جميع المحرمات، وهذا هو الشكر الواجب وهو كاف في شكر هذه النعم وغيرها.

أما الشكر المستحبّ فبالزيادة على ذلك بنو افل العبادات القاصرة كالأذكار، والمتعدية كالبذل والإعانة، وليس المراد من الحديث حصر أنواع الصدقة بالمعنى الأعم فيما ذُكِرَ فيه بل التنبيه به على ما بقي منها، ويجمعها كل ما فيه نفع للنفس أو للغير.

فائدة : في هذا الحديث إعجاز طبي حيث و افق عدد المفاصل (360) التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم ما توصل إليه الطب الحديث 69.

*** *** ***

16/ الباقيات الصالحات يصدِّقُ الله تعالى قائلهن :

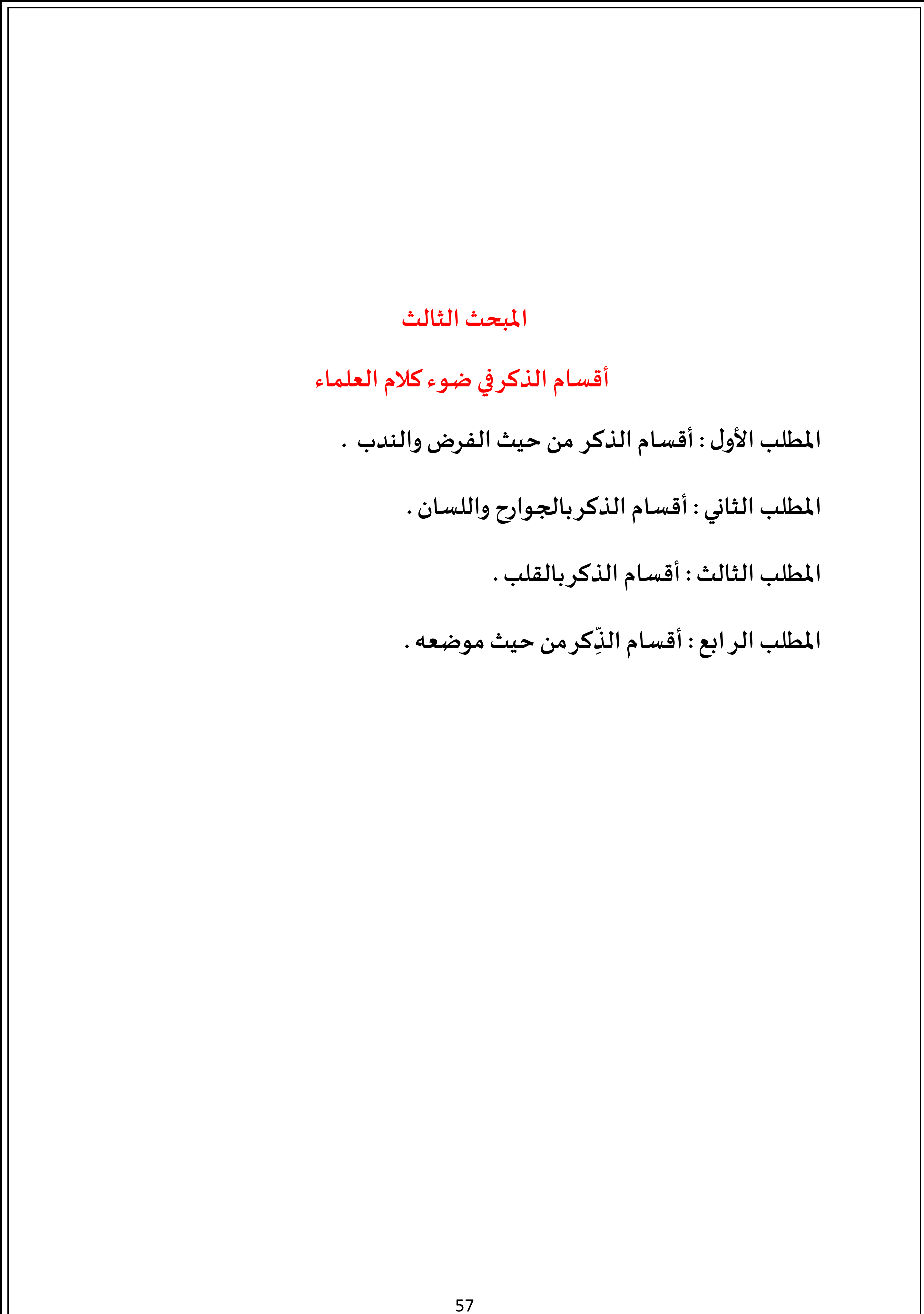
عن أبي سعيد و أبي هريرة رَضي اللَّه عنهما قال : قالَ رسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم (من قالَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ واللَّهُ أكبرُ صدَّقهُ ربُّهُ فقالَ لا إلهَ إلَّا أنا و أنا أكبرُ وإذا قالَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ قالَ يقولُ لا إلهَ إلَّا أنا وحدي وإذا قالَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ يقول لا إلهَ إلَّا أنا وحدي لا شريكَ لي وإذا قالَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ قالَ لا إلهَ إلَّا أنا لِيَ الملكُ ولِيَ الحمدُ وإذا قالَ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ قالَ لا إلهَ إلَّا أنا ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بي وكانَ يقولُ من قالَها في مرضِهِ ثمَّ ماتَ لم تطعمْهُ النَّارُ) [70].

*** *** ***

69- استدل محمد السيد أرناؤوط، في كتابه (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) ص (21) بحديث عائشة، واستدل الدكتور/ حامد أحمد حامد، في كتابه (رحلة الإيمان...) ص (22)، بحديثها وحديث بريدة؛ على الإعجاز العلمي للسنة؛ لأن عدد المفاصل المذكورة في الحديث النبوي، هو نفس العدد الذي توصل إليه علم الطب الحديث.

وبوب له الأرناؤوط فقال: "إعجاز تشريحي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم..."، وذكر الحديث، ثم قال: "وبعد أربعة عشر قرناً من الزمان، أثبت العلم الحديث في التشريح للأعضاء، أن جسم الإنسان يحتوي على (360). مفصلاً، موزعة على جميع مناطق الجسم في الإنسان البالغ، كما ورد في الحديث الشريف".

70/ رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: 3430



المبحث الثالث

أقسام الذكر في ضوء كلام العلماء

المطلب الأول : أقسام الذكر من حيث الفرض والندب .

المطلب الثاني : أقسام الذكر بالجوارح واللسان .

المطلب الثالث : أقسام الذكر بالقلب .

المطلب الرابع : أقسام الذِّكر من حيث موضعه .

قسم العلماء الذكر إلى أقسام متعددة من حيثيات مختلفة فقد نظر كل منهم إلى الذكر من زاوية تختلف عن نظر الآخر فيسر الله لي جمع تلك التقسيمان من عدد من المصادر وإليك بيانها في أربعة مطالب كما يلي :71

المطلب الأول

أقسام الذكر من حيث الفرض والندب

أخذت هذين القسمين من قول الحسن البصري - رحمه الله تعالى - : الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عزوجل ما أحسنه وأعظم أجره ، و أفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عزوجل .

قلت : وهذا كلام مهم ولكنه مجمل يحتاج إلى شيء من التفصيل :

يشير رحمه إلى قسمين من الذكر:

الأول : ذكر مفروض : وهو ترك المحرمات ، حيث قال (و أفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل) قلت ويندرج تحته أداء الفرائض العروفة من الصلاة والصوم ونحوها ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتّق المحارم تكُن أعبدَ النّاس).[72] إذ لا فائدة من اتقاء المحارم مع ترك الفرائض .

الثاني : ذكر مندوب : وهو ذكر الله باللسان من تسبيح وتهليل وتكبير واستغفار وتلاوة للقرآن ونحو ذلك. ثم بين أن اهتمام الناس بهذا النوع أكثر من اهمامهم بالمفروض .

ولي أن أتساءل في هذا المقام للفت انتباه بعض الذاكرين وهم في الحقيقة غافلون عن غفلتهم عن الله تعالى .. نعم غافلون عن الله تعالى مع كثرة ذكرهم له بألسنتهم .

71- تفسير الرازي وتفسير الآلوسي ومدارج السالكين - (2452 - 453). نقلا عن كتابي آيَاتٌ مُبَشِّرَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ والمُـؤْمِنـاتِ – المبشرة الثانية - ص (47) مع زيادات هنا ليست موجودة هناك.

72- جزء من حديث نبوي ونصه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنّ أو يعلمهنّ من يعمل بهنّ؟)، قال أبو هريرة: فقلت أنا يا رسول الله، فأخذَ بيدي فعدّ خمسًا، قال: (اتّق المحارم تكُن أعبدَ النّاس، وارضَ بما قسَم الله لك تكُن أغنى النّاس، وأَحسن إلى جارك تكُن مؤمنًا، وأحِبّ للنّاس ما تحبّ لنفسك تكن مُسلمًا، ولا تُكثر الضّحك فإنّ كثرةَ الضّحك تُمِيتُ القلب) رواه أحمد، والتّرمذي، وحسّنه الألباني.

- الموظف الذي يكثر التسبيح والتهليل طوال النهار، ولكنه في نفس الوقت يحرص على وضع العراقيل أمام المراجعين أو يَعبَس في وجوههم ولا يكاد يراه أحد مبتسما وربما قبل الرشوة باسم الهدية أو باسم التساهيل وتمشية الأمور فهل يظن نفسه ذاكرا لله ... كلّا إنَّه غافلٌ عن ربِّه حقاً وصدقاً .
- التاجر الذي يكثر التسبيح والتهليل طوال النهار، ولكنه لا يصدق في التصريح عن أسعار سلعته للمشتري ليجني الربح الوفير.. فهل يظن نفسه ذاكراً لله .. كلَّا إنَّه غافلٌ عن ربِّه حقاً وصدقاً .
- التاجر الذي يكثر التسبيح والتهليل طوال النهار ولكنه يغش في سلعه المعروضة وهو يعلم أنها مضروبة أو منتهية الصلاحية أو ليست الماركة التي يطلبها الزبائن ومع ذلك يبيعها .. إنه غافل عن ربه حقا وصدقا .
- الرجل الذي يكثر من تلاوة القرآن أو يكثر من التسبيح والتهليل طوال النهار ولكنه قاطع لرحمه أو عاق لوالديه أو مسئ لجيرانه أو مسئ لعشرته لزوجته يضربها بغير حق ويسعى في إيذائها ظلما واعتداءً ... هل يظن نفسه من الذاكرين ... كلَّا إنَّه غافلٌ عن ربِّه حقاً وصدقاً .
- المدرِّس الذي يقصر في تدريسه لتلامذته ليجبرهم على أخذ الدروس الخصوصية عنده ليأكل أموالهم بغير حق ومع ذلك لا يغفل عن ذكر الله تعالى بلسانه ... هل يظن نفسه من الذاكرين ... كلا إنه غافل عن ربه حقا وصدقا.
- الداعية الحافظ للقرآن الذي يكثر من ختمه كما أنه يكثر من ذكر ربه ولكنه يتكبر على عامة المسلمين بعلمه ولا يستحي من تنقيص إخوانه من الدعاة بكثرة مجادلته إياهم أو يسعى في إظهار عيوبهم والوقوع في أعراضهم .. هل يظن نفسه من الذاكرين ... كلَّا إنَّه غافلٌ عن ربِّه حقاً وصدقاً .
- العالم الذي يكثر من إلقاء الدروس والمحاضرات حتى ذاع صيته وأصبح له متابعون عبر وسائل التواصل الاجتماعي بالآلاف أو عشرات الآلاف بل ربما بالملايين ولكنه لا يزال يسيء إلى الخَلق بسبب سوء تعامله وعدم احترامه للآخرين وعدم تواضعه للمسلمين أو يأخذ مالا على كل محاضرة يلقيها في قناة أو في مسجد ... هل يظن نفسه من الذاكرين ... كلَّا إنَّه غافلٌ عن ربِّه حقاً وصدقاً .

- المرأة التي تسبح الله كثيرا وتصلي وتصوم الفرائض والنوافل ولكنها تؤذي جاراتها بلسانها الطويل وتذكر من تنقيصهن بالغيبة وتمشي بينهن بالنميمة لتخلق العداوات هل تظن نفسها من الذاكرات لله ... كلَّا إنَّها غافلٌة عن ربّها حقاً وصدقاً .
- المرأة التي تسبح الله كثيرا وتصلي وتصوم الفرائض والنوافل ولكنها تخرج متعطرة متبرجة ليرى الرجال محاسنها وليفتنوا بها ومع ذلك تكثر من الذكر.. إنها غافلة ولو كانت ذاهبة لأداء الصلاة في المسجد أو حضور درس ديني .

*** *** ***

وقس على هؤلاء فئات من أمتنا الإسلامية تؤدي الصلوات ولكنها في نفس الوقت لا تستحي من أكل الربا وشهادة الزور وعمل السحر والكذب لأتفه الأسباب فأين ما قاله الحسن البصري رحمه الله تعالى: (ذِكْرُ الله سبحانه عند ما حرَّمَ اللهُ عزوجل).

إذن فالذكر المطلوب على سبيل الوجوب هو ما عناه الحسن البصري بهذا الكلام ، ولعلك تفهم أن في طي هذا الكلام نوع آخر من الذكر ألا وهو أداء الفروض لأنه لا فائدة من ترك الحرام إذا لم يُفعل الفرض .

*** *** ***

المطلب الثاني

أقسام الذكر بالجوارح واللسان

نقل الفخر الرازي رحمه الله عن بعضهم، قوله : الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء .

ثم قال رحمه الله : وهو أن تصير جوارحك مستغرقة في الطاعات كالمشي لطلب العلم وصلة الرحم وتفقد الجيران وإرشاد الحيران وزيارة المرضى وتشييع الجنائز ومساعدة المحتاجين وإعانة الضعفاء .

ومن الذكر أن تكون الجوارح خالية عن الأعمال التي نهوا عنها ، وعلى هذا الوجه سمى الله تعالى الصلاة ذكرا بقوله : (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الجمعة : 9] (أي الاستماع إلى الخطبة و إقامة صلاة الجمعة) .

فصار الأمر بقوله : (فاذكروني) متضمنا جميع الطاعات ، فلهذا روي عن سعيد بن جبير أنه قال : اذكروني بطاعتي ، فأجمله حتى يدخل الكل فيه .

ويدخل في هذا القسم الذكر باللسان : وهو على نوعين وهو ما أسماه ابن القيم بالذكر الظاهر وهو على نوعين : ثناء أو دعاء .

فأما ذكر الثناء : فالمراد هو أن تمدح الله تعالى وتثني عليه وتعظمه بما ورد في القرآن والسنة وذلك كالباقيات الصالحات : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

كما قال صلى الله عليه وسلم (لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ) رواه مسلم .

وأن تذكره سبحانه بذكر أحكام أسمائه وصفاته فالإخبار عن الله بأنه يسمع ويرى يسمع أصوات العباد ويرى أعمالهم ويعلم أحوالهم وأنه تبارك وتعالى يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات وأنه أرحم بالناس من آبائهم وأمهاتهم وأنه يغفر السيئات ويقيل العثرات ويجبر الكسير ويغيث الملهوف إلى غير ذلك من الإخبار عنه جلّ وعلا فكل ذلك ذكر له سبحانه.

وبهذا نعلم أن كتب العقائد المؤلفة على نهج أهل السنة كلها كتب ذكر لله جل وعلا فهي ذكر لله بمعرفته ومعرفة عظمته ومعرفة جلاله وكماله ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا فكل ذلك ذكر لله تبارك وتعالى [73] .

وأما ذكر الدعاء : فالمقصود منه : هو أن تسأل الله تعالى ما شئت من حوائج الدنيا والآخرة ومن قوله تعالى حكاية عن الأبوين الكريمين آدم وحواء عليهما السلام : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 23].

قلت :كل ذكر مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وثناء وارد في القرآن والسنة على الله جلّ وعلا فهو داخل في هذا النوع.

*** *** ***

تنبيهان :

1/ اعلم أن ذكر اللسان دون حضور القلب معه فهو قليل النفع يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : فأما الذكر باللسان والقلب لاهٍ فهو قليل الجدوى،لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(اعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه) رواه الحاكم و الترمذي وحسنه.

2/ قد يقول قائل : نحن في أحيانٍ كثيرة يشتغل لساننا بالذكر مع غفلة القلب فهل نترك الذكر باللسان لأن القلب غافل ؟ لا تترك ذكر اللسان لأن قلبك غافل ،لأن الغفلة عن ذكر الله أكبر من الغفلة فى ذكر الله , والذكرباللسان فيه اشتغال للسان عن الغيبة والنميمة و آفات اللسان و أيضا,لربما ينتقل الذكر فى لحظة من اللسان إلى القلب فيشتغل القلب واللسان معاً بالذكر فتحصل الفائدة المرجوة .

وكما يقول ابن عطاءالله السكندري رحمه الله تعالى : (لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله تعالى فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره،أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك -الله - من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة،ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود

73- انواع الذكر– موقع الكلم الطيب . آداب الذكر والدعاء

حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غَيْبَةٍ عما سوى المذكور،وما ذلك على الله بعزيز) .[74]

فعلى الإنسان ملازمة الذكر باللسان حتى يفتح على القلب، وينتقل الذكر إليه، فيكون من أهل الحضور مع الله تعالى.

وقد قال بعض العلماء : فضل الذكر المجرد من حضور القلب معلوم ، والأجر فيه ثابت - وهذا من فضل الله - وليس مرتبطاً بحضور القلب ، بل إنّ صاحبه مأجور بمجرد الذكر المجرّد على اللسان ، وهو خير من الغافل السادر في دنياه .

*** *** ***

74- إيقاظ الهمم في شرح الحكم – للعلامة أحمد بن عجيبة الحسني – (نقلا عن موقع الكلام الطيب – آداب الذكر والدعاء)

المطلب الثالث

أقسام الذكر بالقلب

وهي أربعة أقسام :

قال الرازي رحمه الله ذكرهم إياه بقلوبهم على ثلاثة أنواع (وزدت الرابع) :

1/ أن يتفكروا في الدلائل الدالة على ذاته وصفاته ، ويتفكروا في الجواب عن الشبهة القادحة في تلك الدلائل .

2/ أن يتفكروا في الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه سبحانه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ، فإذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما في الفعل من الوعد ، وما في الترك من الوعيد سهل عليهم الفعل وسهل عليهم الترك .

3/ أن يتفكروا في أسرار مخلوقات الله تعالى حتى تصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم القدس ، فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال ، وهذا المقام مقام لا نهاية له .

وهذا النوع قد أسماه ابن القيم بذكر الرعاية حيث قال رحمه الله تعالى : أما ذكر الرعاية، فمثل قول الذاكر: (الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي).

ثم قال رحمه الله : (ويدخل فيه الذكر الخفي وهو الخلاص من القيود ، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة. ويدخل فيه الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك).

وقد سُمي هذا الذكر حقيقياً؛ لأنه منسوب إلى الرب تعالى فذكر الله لعبده هو الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق عبده .

4/ ذكر التعظيم القلبي المصاحب للذكر اللساني : والمراد به قد أن الذاكر لله بالباقيات الصالحات ونحوها لا بد من استحضار عظمة الله تعالى - سماه البعض (ذكرَ تعظيم) - ، وقد أشرت إلى هذا المعنى في المطلب السابق وأزيده هنا توضيحا من كلام العلماء .

للوصول لهذه الغاية النفيسة طرق منها [75] :

أ- معرفة المعاني لهذه الأذكار :

فالتسبيح : معناه تنزيه الله عمّا لا يليق ، واستحضارما يتصف به من عظمة الصفات ، وجلالة الشأن .فالله منزّه من كل نقص ، كامل من كل وجه ، عظيم قد جمع كل صفة عظمة .

فاستحضرهذه المعاني عند تسبيحة ، فتسبيحةٌ واحدة بحضورقلب تورث صاحبها تعظيم الله وإجلاله خيرمن عشرات بل مئات من التسبيحات .

والحمد لله : معناه شكر الله وحمده والثناء عليه متذكراً نعمة التي لا يمكن لأحد أن يُحيط بعشرأعشارها .فإذا حمدتَ الله استحضرنعمه وفضله عليك في نفسك ودينك وولدك وأهلك ومالك ونفَسك، وعافيته التي أحاطت بك في نعم لا منتهى لآحادها فضلاً عن مجموعها ، فاحمد الله حمد شكر، وإسناد الفضل له ، واعترافاً بمننه .

والله أكبر: معناه تعظيم لله وتكبيره له ، و أنّه أكبر من كلِّ شيء ، وأعظم من كل شيء ، فهو أكبر من الدنيا وما عليها . اللهُ أكبر من كل كبير، وأعظم من كل جليل في نظر الخلق ، و أكبر من كلِّ همّ ، وأجلُّ من كل عظيم، لتحتقر أمام عظمته كل ما يعظمه الخلق من آحاد النّاس ، أو زينة دنيا ، أو تعلّق بمتاع.

ولا إله إلا الله : تقولها مستحضراً فضلها ، وأنّها سبيل النجاة ، والسبب الأعظم الموصل للجنّة ، المنجي من النار، وهي كلمة أعظم من السموات والأرض ، وهي أحسن الحسنات ، وأولى ما ادّخره المؤمن .

تقولها بقلب حاضر متذكراً أهمية وفضل التوحيد و أنّه أولى ما تهتم به النفوس وتسعى في تصفيته من كل شائبة .

ولا حول ولا قوة إلا بالله : تقولها مستحضراً فضلها وأنّها كنزٌمدخّر لك . بها التحوّل من حال الخوف إلى الأمن ، ومن الضعف إلى القوة ، ومن الذلة إلى العزة ، وأنّ الأمور- كل الأمور- بيد الله و أنّه على كلِّ شيء .

75- مقال :تعظيم الله عند ذكره - عادل بن عبدالعزيزالمحلاوي – موقع طريق الإسلام .

وهكذا عند الاستغفار: تستغفر الله مستحضراً جنايتك ، وحاجتك لمغفرة الله ، وخوفك من آثار الذنوب ، فكم من ذنب حرم صاحبَها رزقاً ، وكم من ذنب كان سبباً لضيق حياة ، وتكدير حال ، فتستغفر الله وأنت موقن أنّك بحاجة للمغفرة ، وأنّه لولا فضل الله ورحمته لكان الهلاك.

وهكذا مع كل ذكر وتسبيح ودعاء واستغفار ، يستحضر الذاكر هذه المعاني ليكون الأثر كبير ، والنفع أعظم ، والثواب أجلّ .

ب - ومن الطرق التي يوصل بها لتعظيم الله عند ذكره :

استحضار قربه واطلاعه عليك عندما تذكره ، وسماعه لتسبيحك وحمدك وتكبيرك وتهليلك وبقية أذكارك . استحضر علمه بصدقك عند استغفارك ، وإحاطته باعترافك بذنبك وطمعك بمغفرته ..وهكذا مع كل ذكر وتسبيح .

ج - معرفتك بفضل الذكر مع حضور القلب ، فإنّ الحسنة تعظم بأسباب منها :

الإخلاص ، والمراقبة ، والصدق فيها ، والزمان ، والمكان ، فالذكر يعظم أجره مع حضور القلب.

د - يقينك بأثر التسبيح عليك فتسبيحة مع إجلال لها أثرها الجليل على الذاكر وقد تكون سبباً في استقامة نفسه وصلاح حاله مدى الحياة .

فائدة : قال بعض العلماء : وذكر القلب يثمر المعرفة، ويصحح المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويردع عن التقصير في الطاعة والتهاون في المعاصي والسيئات.

*** *** ***

المطلب الرابع

أقسام الذِّكر من حيث موضعه

له قسمان : مطلَق، ومقيَّد [76]:

القسم الأول : المقيَّد هو: ما قُيِّد بمكان، أو وقت، أو حال.

ومما قُيِّد بمكان : دخول المسجد والخروج منه ودخول البيت والخروج منه .. ونحوها.

ومما قُيِّد بوقت : أذكار ما بعد الصلوات، أو الذِّكر الذي يكون بعد الأذان،وأذكار الصباح والمساء .

ومما قُيِّد حال : الفرح والحزن والهم والديون ونحوها .

وكذا كل ذكر قاله النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في مكان، أو وقت معيَّن، فإنه يُقدَّم على سائر الذِّكر المطلق؛ لأنه بهذا يحصل على اتباع النَّبيّ صلى الله عليه وسلم فيفعل كفعله صلى الله عليه وسلم فلو سلَّم من صلاته المفروضة، فإنَّ الأفضل في حقِّه أن يأتي بأذكار ما بعد الصلاة، ولا يأتي بغيره من الأذكار ولو كان فاضلاً كقراءة القرآن؛ لأنه هكذا فعل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، والخير تمام الخير في التأسي به صلى الله عليه وسلم.

القسم الثاني : المطلق هو: ما لم يُعيَّن بشيء من ذلك، و إنما في سائر اليوم. وهذا محل تنافس الصالحين السائرين إلى الله تعالى لأنه في الغالب الأعم أن يتساوى الصالحون في الذكر المقيد ، والموفق من وفقه تعالى للإكثار من ذكره آناء الليل وأطراف النهار.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على فضيلة الإكثار من الذكر المطلق ، وقد سبق ذكرها في المبحث السابق .

قال الأستاذ أبو القسم القشيري رحمه الله تعالى : (ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت، بل ما من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله، إما فرضاً أو ندباً، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام في عُموم الحالات).

76- مقال ذكر الله تعالى أنواعه وفضائله – الشيخ الدكتور عبدالله بن حمود الفريح – موقع الألوكة الشرعية – بتصرف وزيادات .

قال الله تعالى :(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ).[آل عمران:191]، سمعت الإمام أبا بكر فُورَك رحمه الله يقول : (قيامًا بحق الذكر، وقعُوداً عن الدعوى).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (أي، بالليل والنهار في البر والبحر، والسفر والحَضَر، والغنا والفقر، والمرض والصحة، والسر والعلانية) وقد تقدّم أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه .(رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها).

قال المُلّا علي القاري رحمه الله في شرح الحصن الحصين : (وهذا يدل على أنه كان لا يغفل عن ذكر الله تعالى لأنه كان صلى الله عليه وسلم مشغولاً بالله، ذاكراً لهُ في كل أوقاته).

وأما في حالة التخلي فلم يكن أحد يشاهده، لكن شرع لأمته قبل التخلي وبعده ما يدل على الاعتناء بالذكر ولذا عيّن من الذكر عند الجِماع، فالذكر عند نفس قضاء الحاجة، وعند الجِماع لا يكره بالقلب بالإجماع.

وأمّا الذكر باللسان حينئذ فليس ممّا شرع لنا ولا ندبَنا إليه صلى الله عليه وسلم، ولا نُقِلَ عن أحد من الصحابة، بل يكفي في هذه الحالة الحياء والمراقبة وذكر نعمة الله في إخراجه هذا المؤذي الذي لو لم يخرج لقتل صاحبه، وهذا من أعظم الذكر ولو لم يقله باللسان.

*** *** ***

المبحث الرابع

أهمية الخشوع عند ذكر الله تعالى ونموذج من خشوع السلف

المطلب الأول : أهمية الخشوع عند ذكر الله تعالى .

المحور الأول : وصف حالنا مع الخشوع عند ذكر الله تعالى .

المحور الثاني : لماذا نسعى لتحصيل الخشوع عند الذكر.

المحور الثالث : كلام العلماء في أهمية الخشوع عند الذكر .

المطلب الثاني : خشوع السلف عند الذكر (الصلاة نموذجا) .

المطلب الأول

أهمية الخشوع عند ذكر الله تعالى

بداية لا بد من وصف حالنا مع الخشوع بصورة سريعة لكي نتبه لخطورة الحال التي نعيشها في هذا الجانب ، ثم نشير إلى كلام أهل العلم في ضرورته في الحياة التعبدية ولماذا نسعى إليه، وذلك في محاور ثلاث ، فأقول سائلا الله السداد والقبول :

المحور الأول : وصف حالنا مع الخشوع عند ذكر الله :

اعلم أخي الحبيب - جعلني الله وإياك وأهل محبته - **: أننا أصبحنا في زمن في أمسِّ الحاجة إلى تركيز عقلي وطول مجاهدة للنفس لنفهم مراد العلماء فيما يقولونه في هذا الجانب فضلا عن حاجتنا إلى يقين قلبي على صحة كلامهم ، لكي نقوم بالتطبيق العملي ، ولنقوِّي صلتنا بالله تعالى حتى يصبح ذلك الخشوع بدهي في كل صلاة نصليها أو آيات نتلوها أو ذكر من الأذكار نتلفظ به ، وإن لم تصدق ما قلته لك فقم بإجراء مقارنة سريعة بين ما كان عليه السلف – كما في التمهيد - من كثرة البكاء وشدة الخشوع وشدة مر اقبتهم لله وبين حال الصالحين فينا فضلا عن غيرهم ؟؟ والله المستعان.**

ولكي تشعر بصعوبة ما نواجهه في حياتنا الإيمانية لنصل إلى فهم ما يجب علينا فهمه وتصديق ما يجب علينا تصديقه أضرب لك مثلا : لو قلت لإنسان يعيش في القرن الثامن عشر الميلادي سيأتي على الناس زمان يكلم بعضهم بعضا بل ويرى بعضهم بعضا وهم في بيوتهم والمسافة بينهم تبعد آلاف الكيلومترات وذلك من خلال جهاز اتصال يسمى الجوال .. أتراه كان سيفهم كلامك وإن فهمه أكان سيصدقك ؟ بالطبع لا ؟

الآن نحن في هذا العصر لا نكاد نصدق ما ورد إلينا من أخبار عن السلف - وإن فهمناه - **أن الواحد منهم كان لا يشعر بما يجري حوله إذا دخل في الصلاة أو شرع في تلاوة القرآن وما ذلك إلا لما يعتريهم من التعظيم لله تعالى والتذلل والخشوع بين يديه.**

بل انظر إلى كثرة بكائهم وشدة مخافتهم من عدم قبول أعمالهم وهم يستحضرون ما قال الله تعالى في كتابه **(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)** سورة المؤمنون (60).

قال السعدي رحمه الله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) أي: يعطون من أنفسهم مما أمروا به، ما آتوا من كل ما يقدرون عليه، من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة، وغيرذلك. (و) مع هذا (قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أي: خائفة (أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين

يديه، أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله، لعلمهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العبادات.

قلت : بل لعلمهم بما يستحقه الله تعالى من التعظيم والإجلال ولما في قلوبهم من قوة الإيمان واليقين بتلك المعاني ، وقد ورد هذا المعنى في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ)، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عزوجل؟ قال : **(لا يا بنت أبي بكر ، يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو يخاف الله عزوجل)** رواه أحمد والترمذي.

فهل اعتراك هذا الشعور ولو مرة واحدة في حياتك أعني أنك خفت على نفسك خوفا حقيقيا من أن الله تعالى ردَّ عليك أعمالك ولم يقبلها منك .. ألم أقل لك نحن في حاجة إلى ما ذكرته لك آنفاً ... والله المستعان .

*** *** ***

المحور الثاني : لماذا نسعى للخشوع عند ذكر الله تعالى :

قد يتساءل البعض ولماذا تطالبنا بالخشوع وحضور القلب ولماذا هذه الروحانيات ألا يكفي أنني أصلي الصلوات و أتلو بعض الآيات كما أنني أذكر الله في الصباح وفي المساء .

يأتيك الجواب من أهل العلم وذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) سورة الحديد (16-17) .

ولنا مع هذه الآية ثلاث وقفات [77] :

الوقفة الأولى : سبب العتاب في الآية مفهومه :

لما ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : ما كنا بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية **(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)** إلا أربع سنين .

وقال النابلسي وفقه الله تعالى : يُخاطِبُ ربنا سبحانه وتعالى عَقل الإنسان في كثير من الأحيان، كما أنه يُخاطِبُ قلبه أحياناً، و في هذه الآية خِطابٌ لِقلبِهِ، فالله جلّ جلاله يُعاتِبُ هذا الإنسان

77- بتلخيص من تفسير القرطبي و ابن كثير والألوسي والشنقيطي والنابلسي .

المُقصِّر الذي **لم يخْشَع قلبهُ لِذِكر الله**، ولم يسْتجب لأمر الله تعالى، ولم يلْتزِم منهج الله عز وجل، فيا أيها الإنسان إلى متى أنت غافل ؟ وإلى متى أنت ساهٍ ؟ إلى متى أنت مُقصِّر ؟

قال أحد الشعراء :

إلى متى أنتَ باللَّذاتِ مَشغولُ و أنت عن كلّ ما قدَّمتَ مسؤولُ

*** *** ***

الوقفة الثانية : الآية تلفت الانتباه إلى ضرورة الخشوع لذكر الله تعالى [78] :

يؤخذ ذلك من قوله تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) حان للمؤمنين ، و أَنِيَ لهم أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، أي جاء الحين والأوان لذلك ، لكثرة ما تردد عليهم من زواجر القرآن ومواعظه .

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله تعالى : العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة ، تقول عاتبته معاتبة، **أن تخشع** أي : تذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق.

ومن معاني أنْ تخْشَعَ قلوبهم : أيْ: أن تسْتقيم على أمر الله تعالى، وأن ينقاد الإنسان لأوامر الله، **والحقيقة أن هذا المِقياس مقياس دقيق يضعك على المحكّ، فتكلَّم ما شئت، وتحدَّث عن نفسك ما شئت، وأعْطِ نفْسَكَ أيّ حجمٍ شئت، وفي النّهاية: أنت لسْتَ بالحجم الذي تدَّعيه ما لم تلتزم بالأمر والنَّهي.**

فَخشوع القلب كما قال المفسّرون: هو انقياد القلب لِطاعة الله تعالى، فالخُشوع هو شُعور، ولكنّ هذا الشُّعور يُجَسَّد بانقياد النَّفس إلى طاعة الله تعالى، فالحركة الظاهرة دائمًا أساسها حال نفسي، و الحال النفسي خُشوع لله، والحال الظاهري انْقِيادٌ لأمر الله تعالى، **فإن لم يكُن لديك انْقِياد لأمر الله فأنت لسْتَ خاشعاً بقلبِكَ**، لأنّ القلب لم يأخذ من الفِكر الأدلَّة على عظمة الله، والإنسان إذا فكَّر بعَظمة الله خشع قلبه وانقادت جوارحه، و انْقِيادُ الجوارح يسْبِقُهُ خُشوع القلب، وخُشوع القلب يسْبِقهُ تفكّر في السماوات والأرض.

*** *** ***

78- ما ذكرته هنا هو تفسير الشق المتعلق بالخشوع (لذكر الله) ، وسيأتي الكلام عن الخشوع المتعلق ب(ما نزل من الحق) وهو القرآن في الفصل الثالث : تعظيم القرآن والخشوع عند تلاوته في الفصل الخامس . (إن شاء الله تعالى) .

الوقفة الثالثة : مفهوم الخشوع (لِذِكْرِ اللَّهِ) :

إنَّ ذِكْرَ الله تعالى باب مِن أوْسَعِ الأبواب، فأيُّ شيءٍ يُقرّبُكَ من الله هو من الذِّكْرِ الحكيم، فلو عُرِضَتْ عليك آية من آيات الله تعالى الدالة على عظمته ؛ لكانت هذه الآية من ذِكْرِ الله عزوجل، ولو عُرِضَ عليك حدثٌ هو مِن فِعْل الله تعالى لكان مِن ذِكْرِ الله، وقراءة شيء من سنَّة رسول الله مِن ذِكر الله تعالى، فأيُّ شيءٍ يُذَكِّرُك بالله عزوجل هو من ذِكر الله.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : قوله : لذكر الله ، الأظهر منه أن المراد خشوع قلوبهم لأجل ذكر الله ، وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى : **(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)، أي خافت عند ذكر الله ، فالوجل المذكور في آية الأنفال هذه ، والخشية المذكورة هنا معناهما واحد.**

***   ***   ***

المحور الثالث : كلام العلماء في أهمية حضور القلب عند ذكر الله تعالى :

قال الإمام النووي رحمه الله في كتاب الأذكار :

المرادُ من الذكر حضورُ القلب، فينبغي أن يكون هو مقصودُ الذاكر فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر، ويتعقل معناه. فالتدبُر في الذكر مطلوبٌ كما هو مطلوبٌ في القراءة لاشتراكهما في المعنى المقصود، ولهذا كان المذهبُ الصحيح المختار استحباب مدَّ الذاكر قول: لا إله إلا اللّه، لما فيه من التدبر، وأقوالُ السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة، واللّه أعلم .

وقال العلامة أحمد بن عجيبة رحمه الله تعالى [79] : كل عبادة فِعلية كانت أو قَولية لا يفهم العبد معناها ولا يعرف مقتضاها ،فهي ناقصة، فلابد للعبد إذا تعبد لمولاه تعالى لعبادة فعلية أو قولية، أن يعرف معناها ويعرف مقتضاها. وبه التوفيق إلى سواء الطريق هـ .[80]

79- أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني له كتب كثيرة، منها : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، و إيقاظ الهمم في شرح الحكم توفي سنة (1224) - دُفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) – (نقلا عن الأعلام للزركلي -الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة).

80- الجواهير العجيبة – للعلامة أحمد بن عجيبة – جمع وتقديم الشيخ عبد السلام العمراني الخالدي – طبعة دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الثالثة – 2019 – ص (17) .

وقال الشيخ العيدروس رحمه الله تعالى [81] **:** اعلم أيها الأخ: أن الذكر عبادة جليلة مأمور بها ، وهي شعار الصالحين ، وعمدة المتسكلين ، وله آداب وشرائط.

فمن آدابه : أن يكون على الإنسان الوقار والسكينة حالة الذكر.

ومن شرطه أيضا: حضور القلب ومواطأه القلب اللسان.

وسر **الذكر** هذه الحالة التي أذكرها لك، وهو أن الإنسان كلما تلفظ بكلمة من الذكر.. يجب أن يتصورها، ويعرف القلب معناها ، فكما يتصف اللسان باللفظ.. يتصف القلب بمعنى ذلك اللفظ.

والذاكر ينبغي له أن يراعي أمورا ثلاثة:

أحدُها : حسن اللفظ والنطق به بثبات وتؤدة واعتبار.

الثاني: أن يتصور القلب معنى ذلك الكلام مواطأة بين القلب واللسان.

الثالث : - وهو الأصل- : **أن تكون كلية نظر العبد حالة الذكر إلى المذكور جلت عظمته، ولا تكن كلية همِّه مقصورة على الذكر فقط، فيغفل عن المذكور.**

مثال ذلك: أن العبد إذا قال سبحان الله.. فينبغي أن يتلفظ بهذه الكلمات العزيزة بثبات ويقين من غير عجلة، وأن يشعر القلب بمعناها، وهو التنزيه لله تعالى ، ثم ليكن جُلُّ نظره متعلقا بالمذكور سبحانه وتعالى أكثر من تعلقه بالذكر ، فأعلى أحوال الذكر أن تستغرق الذاكر هيبةُ المذكور تعالى ، فيغفل الذاكر عن وجود نفسه ، ويصير قلبه متعلقا بالمذكور تعالى جملة فلا يلتفت إلى شي سواه، هذا هو سر الذكر فافهمه واعمل به تُصب بعون الله تعالى ومشيئته.

*** *** ***

81- إيضاح اسرار علوم المقربين – تاليف العلامة : جمال الدين محمد بن عبدالله العيدروس باعلوي – دار دمشق – ط4 - ص (177-178).

المطلب الثاني

الخشوع عند السلف (الصلاة نموذجاً)

قال أحد العلماء : مما تميز به سلف هذه الأمة وجيلها الرائد، ورعيلها الأول، اهتمامهم بالصلاة، وخشوعهم فيها، وتدبرهم لمعانيها الظاهرة والباطنة، مما جعل للصلاة كبير الأثر في سلوكهم ومعاملاتهم بل وفي حياتهم كلها.

ولما كان من الضروري لنا أن نسير في ركابهم - أعني السلف رضي الله عنهم - ونتعلق بآثارهم ومحاولة التشبه بهم لعلنا نصل إلى ما وصلوا إليه ، كان لا بد لنا من الإشارة إلى طرف من أحوالهم القلبية في حياتهم التعبدية والإ ضللنا الطريق وفارقنا الجادة ، فإلى ذكر بعض النماذج التي ترفع الهمم وتحيي القلوب لتنهض إلى مرضاة علام الغيوب ، وسأتكفي بذكرنماذج من حالهم مع الصلاة[82] .

والآن من الأخبار التي وردت عنهم في تعظيم شأن الصلاة والخشوع فيها ، ما يأتي :

1 - قال القاسم بن محمد رضي الله عنه: "غدوت يوما وكنت بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فإذا هي تصلي الضحى وتقرأ (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) [الطور: 27]، وتبكي وتدعووتردد الآية، فقمت حتى مللت وهي كما هي، فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد وتبكي وتدعو".

2 - كان أبو بكررضي الله عنه يبكي في الصلاة حتى لا يسمع الناس قراءته، ولمّا مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه قال: (مروا أبا بكر فليصلّ بالناس) قالت عائشة رضي الله عنها: (إن أبا بكرٍرجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه) رواه البخاري .

3 - كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما طعنه المجوسي أبو لؤلؤة وهو يصلي بالناس غلبه النزف حتى غُشي عليه، فأدخلوه بيته، فلم يزل في غشية حتى أسفر، فنظر في وجوه من حوله فقال: "صلّى الناس؟" قالوا: "نعم"، فقال: "لا إسلام لمن ترك الصلاة"، ثم توضأ وصلّى وجرحه ينزف دمًا.

*** *** ***

82- ذكرت في الرسالة الثالثة وهي بعنوان حُسْنُ الإِفَـادَةِ في أَهَمِّيَّةِ ومَقاصِدِ الْعِبَادةِ تحت عنوان الخشوع عند السلف (الصلاة نموذجاً) عددا من الآثار التي تبين كيف خشوع السلف رضي الله عنهم - ص(7) .

4 - كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة فكأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره، لا تحسبه إلا جذعاً أو حائطاً أو خشبة منصوبة لا تتحرك.

5 - كان مسلم بن يسار لا يلتفت في صلاته، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع لها أهل السوق فما التفت.

وكان إذا دخل منزله سكت أهل بيته، فإذا قام يصلي تكلموا، أو ضحكوا، علماً منهم بأن قلبه مشغول عنهم، وكان يقول: "إلهي، متى ألقاك و أنت عني راضٍ".

6 - قال أبو عبدالرحمن الأسدي: قلت لسعيد بن عبدالعزيز: "يا أبا محمد، ما هذا البكاء الذي يعرض لك في صلاتك؟" قال: "يا ابن أخي، وما سؤالك عن ذلك؟" قلت: "يا عمّ، لعل الله أن ينفعني".

7 - جاء عن التابعي الجليل عامر بن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، أنه سمع المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خُذوا بيدي، فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله، فلا أجيبه؟! فأخَذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب، فركع ركعة، ثم مات [83].

8- ضعُف التابعي الجليل الإمام أبو إسحاق السَّبيعي الكوفي قبل موته بسنتين، فما كان يقدر أن يقوم حتى يُقام، فإذا استتمَّ قائمًا قرأ وهو قائم ألف آية! وكان يقول: يا معشر الشباب، اغتنموا -يعني: قوَّتكم وشبابكم - قلما مرَّت بي ليلة إلا و أنا أقرأ فيها ألف آية، و إني لأقرأ البقرة في ركعة، و إني لأصوم الأشهر الحرُم، وثلاثة أيام مِن كل شهر، والاثنين والخميس [84].

9 - وهذا أبو عبد الله البناجي رحمه الله كان يصلي بالناس فيُصاح بالنفير فلا يخفف الصلاة، فلما فزعوا قالوا: "أنت جاسوس، قال ولم؟ قالوا صيح بالنفير و أنت لم تخفف؟ قال: ما حسبت أن أحدا يكون في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطبه به الله عز وجل".

10 - قال سعيد بن المسيب: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة. وقال أيضاً: ما سمعت تأذيناً في أهلي منذ ثلاثين سنة.

11 - قال ربيعة بن يزيد: ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا و أنا في المسجد إلا أن أكون مريضًا أو مسافرًا.

83- سير أعلام النبلاء (5/ 220).

84- سير أعلام النبلاء (5/ 397).

12 - كان يحيى بن سعيد القطان لم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة. وكان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى.

13 - يروى عن حاتم الأصم رضي الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء و أتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي أظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق و أقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع و أقعد على الورك الأيسر و أفرش ظهر قدمها و أنصب القدم اليمنى على الإبهام و أتبعها الإخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا.

ولعل حال هذا الرجل يشرح ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه .

ولعل حالنا يشرحه لنا حذيفة رضي الله عنه بقوله : أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ، وآخر ما تفقدون من دينكم : الصلاة.

14- من أعجب ما قرأت في هذا الموضوع ما ورد عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، أنه كان يحضره عنده فقهاء الإسكندرية والقاضي ، فجاؤوا مرة مختبرين للشيخ ، فتفرس فيهم وقال : يا فقهاء يا فقهاء ! هل صليتم قط؟.

قالوا: يا شيخ وهل يترك أحدنا الصلاة؟؟! فقال لهم : قال الله تعالى : (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ) المعارج (19-22) فهل أنتم كذلك:إذا مسكم الشر لا تجزعوا وإذا مسكم الخير لا تمنعوا؟ فسكتوا جميعا ، فقال لهم الشيخ : فما صليتم هذ الصلاة قط .

*** *** ***

المبحث الخامس

فوائد الذكر وكيفية الوصول إليها وعلامات الفائزين بتحصيلها

المطلب الأول : فوائد الذكر لابن القيم وتتمتها (100 فائدة) .

المطلب الثاني : الوسيلة والغاية في جني ثمار فضائل الذكر.

المحور الأول : الوسيلة وهي الإكثار من ذكر الله تعالى .

المحور الثاني : الغاية وهي تحصيل فضائل الذكر التي وردت في القرآن والسنة .

المطلب الثالث : علامات الفائزين بتحصيل ثمار الذكر .

القسم الأول : علامات نجاح المسلم في إصلاح صلته بربه .

المحور الأول : الاطمئنان إلى الله تعالى .

المحور الثاني : امتلاء القلب بحب الله تعالى في كل حال من الأحوال .

المحور الثالث : التبتل إلى الله تعالى .

القسم الثاني : علامات نجاح المسلم في إصلاح صلته بالناس .

المطلب الأول

فَوَائِدُ الذِّكْرِ لابن القيم وتتمتها (100فائدة)

قال الشيخ الدكتورذياب الغامدي [85]:

للذِّكْرِفَوَائِدُ كَثِيْرَةٌ لا يَجْمَعُهَا كِتَابٌ ولا يَعُدُّهَا حِسَابٌ، ولا يُحِيْطُ بِهَا أحَدٌ سِوَى الله تَعَالى، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم : «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ برِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوْبَتِكَ، وأعُوْذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أنْتَ كَمَا أثْنَيْتَ على نَفْسِكَ» أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

فَكَانَ مِنْهَا لا كُلِّهَا مَا ذَكَرَهُ العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله في كِتَابِهِ العَظِيْمِ «الوَابِلِ الصَّيِّبِ»؛ حَيْثُ ذَكَرَرَحِمَهُ الله مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِمَا يَقِفُ العَقْلُ عِنْدَهَا، ويَطْمَئِنُّ القَلْبُ إلَيْهَا، ويَطِيْبُ اللِّسَانُ بذِكْرِهَا!

وقَدْ بَلَغَ رَحِمَهُ الله بفَوَائِدِ الذِّكْرِفي كِتَابِهِ هَذَا ثَلاثًا وسَبْعِيْنَ فَائِدَةً، كَمَا أنَّه اسْتَدَلَّ على كُلِّ فَائِدَةٍ بالأدِلَّةِ الشَّرعِيَّةِ، والآثَارِالسَّلَفِيَّةِ؛ مَا يَقْطَعُ بعُلُوِّ كَعْبِهِ، ورُسُوْخِ عِلْمِهِ، فجَزَاهُ الله عَنِ الذَّاكِرِيْنَ والذَّاكِرَاتِ خَيْرَالجَزَاءِ، وجَعَلَ الجَنَّةَ مَأوَاهُ، آمِيْنَ!

ومِنْ نَافِلَةِ فَوَائِدِ الأذْكَارِ: أنَّ ابنَ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله تَعَالى لَمَّا عَزَمَ في كِتَابِهِ «الوَابِلِ الصَّيِّبِ» على ذِكْرِمَائِةَ فَائِدَةٍ للذِّكْرِكَمَا أرَادَ وشَاءَ؛ إلَّا أنَّنا نَجِدُهُ رَحِمَهُ الله قَدِ اقْتَصَرَعلى ثَلاثٍ وسَبْعِيْنَ فَائِدَةً فَقَطْ؛ سَوَاءٌ أكَانَ هَذَا الاقْتِصَارُوُقُوْفًا مِنْهُ عِنْدَ مُنْتَهَى اجْتِهَادِهِ وقَدْحِ زِنَادِهِ، أو وُقُوْفًا بِهِ عِنْدِ نِسْيَانِهِ وذُهُوْلِهِ، والثَّاني هُوَمَبْلَغُ عِلْمِنَا بابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله، ولا شَكَّ .

لأجْلِ هَذَا؛ فَقَدْ ذَكَرْتُ هُنَا جَمِيْعَ الفَوَائِدَ الَّتِي ذَكَرَهَا ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله مُرَتَّبَةً كَمَا جَاءَتْ في كِتَابِهِ، والَّتِي بَلَغَتْ ثَلاثًا وسَبْعِيْنَ فَائِدَةً، إلَّا أنَّني وَقَفْتُ مِنْهَا على رُؤُوْسِ الفَوَائِدِ وأُصُوْلِ الفَرَائِدِ دُوْنَ بَسْطٍ وإطَالَةٍ، ومَنْ أرَادَهَا مَبْسُوْطَةً فلْيَنْظُرْهَا مَكْنُوْزَةً مَدْخُوْرَةً في كِتَابِهِ الوَابِلِ الصَّيِّبِ .

ومِنْ هُنَا؛ فَقَدْ قَوِيَتْ مِنَّا العَزِيْمَةُ وانْقَدَحَتْ فِيْنَا القَرِيْحَةُ في تَتِمَّةِ هَذِهِ الفَوَائِدِ بِمَا فَتَحَهُ الله عَلَيِنَا مِنِ اجْتِهَادٍ واسْتِنْبَاطٍ، كُلَّ ذَلِكَ إتْمَامًا مِنَّا للمَائَةِ الَّتِي أرَادَهَا ابنُ القَيِّمِ في كِتَابِهِ، فَكَانَتْ منَّا سَبْعًا وعِشْرِيْنَ فَائِدَةً، وهُوَ ممَّا فَتَحَهُ الله تَعَالى على العَبْدِ الفَقِيْرِ، والله المُوَفِّقُ إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ .

85- متممة المائة على فوائد الذكرلابن القيم - الشيخ د/ ذياب الغامدي.

فَإِلَيْكَ مَا ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ، مَعَ مَا زِدْنَاهُ باخْتِصَارٍ[86] :

1- أنَّهُ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، ويُقْمِعُهُ ويُكْسِرُهُ .
2- أنَّهُ يُرْضِي الرَّحمَنَ عَزَّوجَلَّ .
3- أنَّهُ يُزِيْلُ الهَمَّ والغَمَّ عَنِ القَلْبِ .
4- أنَّهُ يُجْلِبُ للقَلْبِ الفَرَحَ والسُّرُوْرَوالبَسْطَ .
5- أنَّهُ يُقَوِّي القَلْبَ والبَدَنَ .
6- أنَّهُ يُنَوِّرُالوَجْهَ والقَلْبَ .
7- أنَّهُ يَجْلِبُ الرِّزْقَ .
8- أنَّهُ يَكْسُو الذَّاكِرَ المَهَابَةَ والحَلاوَةَ والنَّضْرَةَ .
9- أنَّهُ يُوْرِثُ الذَّاكِرَ المَحَبَّةَ .
10- أنَّهُ يُوْرِثُ الذَّاكِرَ المُرَاقَبَةَ؛ حَتَّى يُدْخِلَهُ في بَابِ الإحْسَانِ .

*** *** ***

11- أنَّهُ يُوْرِثُ الذَّاكِرَ الإنَابَةَ، وهِيَ الرُّجُوْعُ إلى الله .
12- أنَّهُ يُوْرِثُ الذَّاكِرَ القُرْبَ مِنَ الله تَعَالى .
13- أنَّهُ يَفْتَحُ للذَّاكِرِ بَابًا عَظِيْمًا مِنْ أبْوَابِ المَعْرِفَةِ .
14- أنَّهُ يُوْرِثُ الذَّاكِرَ الهَيْبَةَ لِرَبِّهِ عَزَّوجَلَّ .
15- أنَّهُ يُوْرِثُ الذَّاكِرَ ذِكْرَ الله تَعَالى لَهُ .
16- أنَّهُ يُوْرِثُ الذَّاكِرَ حَيَاةَ القَلْبِ .
17- أنَّهُ قُوْتُ القَلْبِ والرُّوْحِ .
18- أنَّهُ يُوْرِثُ الذَّاكِرَ جِلاءَ القَلْبِ مِنْ صَدَاهُ .
19- أنَّهُ يَحُطُّ الخَطَايَا، ويُذْهِبُهَا .
20- أنَّهُ يُزِيْلُ الوَحْشَةَ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالى .
21- أنَّ مَا يَذْكُرُ بِهِ العَبْدُ رَبَّهُ عَزَّوجَلَّ مِنْ جَلالِهِ وتَسْبِيْحِهِ وتَحْمِيْدِهِ يُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ عِنْدَ الشِّدَّةِ .
22- أنَّ العَبْدَ إذا تَعَرَّفَ إلى الله تَعَالى بذِكْرِهِ في الرَّخَاءِ عَرَفَهُ في الشِّدَّةِ .

86- السابق .

23- أَنَّهُ يُنْجِي مِنْ عَذَابِ الله تَعَالى .
24- أَنَّهُ سَبَبُ تَنْزِيْلِ السَّكِيْنَةِ، وغِشْيَانِ الرَّحمَةِ، وحُفُوْفِ الملائِكَةِ بالذَّاكِرِ.
25- أَنَّهُ سَبَبُ اشْتِغَالِ اللِّسَانِ عَنِ الغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ والكَذِبِ والفُحْشِ والبَاطِلِ .
26- أَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الملائِكَةِ، وأَنَّ مَجَالِسَ اللَّغْوِ والغَفْلَةِ مَجَالِسُ الشَّيَاطِيْنِ .
27- أَنَّ الذَّاكِرَ يَسْعَدُ بذِكْرِهِ، ويَسْعَدُ بِهِ جَلِيْسُهُ، وهَذَا هُوَ المُبَارَكُ أَيْنَ مَا كَانَ، والغَافِلُ واللَّاغِي يَشْقَى بلَغْوِهِ وغَفْلَتِهِ، ويَشْقَى بِهِ مُجَالِسُهُ .
28- أَنَّهُ يُؤَمِّنُ العَبْدَ مِنَ الحَسْرَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُ العَبْدُ فِيْهِ رَبَّهُ تَعَالى كَانَ عَلَيْهِ حَسْرَةً وتِرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ .
29- أَنَّهُ مَعَ البُكَاءِ فِي الخَلْوَةِ سَبَبٌ لإظْلالِ الله تَعَالى العَبْدَ يَوْمَ الحَرِّ الأَكْبَرِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ .
30- أَنَّ الاشْتِغَالَ بِهِ سَبَبٌ لعَطَاءِ الله للذَّاكِرِ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي السَّائِلِيْنَ .

*** *** ***

31- أَنَّهُ أَيْسَرُ العِبَادَاتِ، وهُوَ مِنْ أَجَلِّهَا و أَفْضَلِهَا؛ فَإِنَّ حَرَكَةَ اللِّسَانِ أَخَفُّ حَرَكَاتِ الجَوَارِحِ و أَيْسَرُهَا .
32- أَنَّهُ غِرَاسُ الجَنَّةِ .
33- أَنَّ العَطَاءَ والفَضْلَ الَّذِي رُتِّبَ عَلَيْهِ لم يُرَتَّبْ على غَيْرِهِ مِنَ الأَعْمَالِ .
34- أَنَّ دَوَامَ ذِكْرِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وتَعَالى يُوْجِبُ الأَمَانَ مِنْ نِسْيَانِهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ شَقَاءِ العَبْدِ فِي مَعَاشِهِ ومَعَادِهِ .
35- أَنَّ الذِّكْرَ يُسَيِّرُ العَبْدَ وهُوَ قَاعِدٌ على فِرَاشِهِ، وفِي سُوْقِهِ، وفِي حَالِ صِحَّتِهِ وسَقَمِهِ، وفِي حَالِ نَعِيْمِهِ ولَذَّتِهِ، ولَيْسَ شَيءٌ يَعُمُّ الأَوْقَاتِ والأَحْوَالَ مِثْلُهُ .
36- أَنَّ الذِّكْرَ نُوْرٌ للذَّاكِرِ فِي الدُّنْيَا، ونُوْرٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ونُوْرٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ؛ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ على الصِّرَاطِ فمَا اسْتَنَارَتِ القُلُوْبُ والقُبُوْرُ بمِثْلِ ذِكْرِ الله تَعَالى .
37- أَنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الأُصُوْلِ، وطَرِيْقُ عَامَّةِ الطَّائِفَةِ، ومَنْشُوْرُ الوَلايَةِ؛ فَمَنْ فُتِحَ لَهُ فِيْهِ فَقَدْ فُتِحَ لَهُ بَابُ الدُّخُوْلِ على الله عَزَّوجَلَّ .
38- فِي القَلْبِ خَلَّةٌ وفَاقَةٌ لا يَسُدُّهَا شَيءٌ الْبَتَّة إِلَّا ذِكْرُ الله عَزَّوجَلَّ .
39- أَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ المُتَفَرِّقَ ويُفَرِّقُ المُجْتَمِعَ، ويُقَرِّبُ البَعِيْدَ ويُبْعِدُ القَرِيْبَ؛ فَيَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ على العَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وإِرَادَتِهِ وهُمُوْمِهِ وعُزُوْمِهِ، والعَذَابُ كُلُّ العَذَابِ فِي تَفْرِقَتِهَا وتَشَتُّتِهَا عَلَيْهِ و انْفِرَاطِهَا لَهُ، والحَيَاةُ كلُّ الحياةِ والنَّعِيْمُ فِي اجْتِمَاعِ قَلْبِهِ وهَمِّهِ وعَزْمِهِ وإِرَادَتِهِ .

40-أنَّ الذِّكْرَ يُنَبِّهُ القَلْبَ مِنْ نَوْمِهِ، ويُوْقِظُهُ مِنْ سِنَتِهِ، والقَلْبُ إذَا كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ الأرْبَاحُ والمتَاجِرُ، وكَانَ الغَالِبُ عَلَيْهِ الخُسْرَانُ .

41-أنَّ الذِّكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ المَعَارِفَ والأحْوَالَ الَّتِي شَمَّرَ إلَيْهَا السَّالِكُوْنَ؛ فَلا سَبِيْلَ إلى نِيْلَ ثِمَارِهَا إلَّا مِنْ شَجَرَةِ الذِّكْرِ.

42-أنَّ الذَّاكِرَ قَرِيْبٌ مِنْ مَذْكُوْرِهِ، ومَذْكُوْرُهُ مَعَهُ وهَذِهِ المَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ غَيْرُ مَعِيَّةِ العِلْمِ والإحَاطَةِ العَامَّةِ، فَهِيَ مَعِيَّةٌ بالقُرْبِ والوِلايَةِ والمَحَبَّةِ والنُّصْرَةِ والتَّوْفِيْقِ .

43-أنَّ الذِّكْرَ يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ، ونَفَقَةَ الأمْوَالِ، والحَمْلَ على الخَيْلِ فِى سَبِيْلِ الله عَزَّوجَلَّ، ويَعْدِلُ الضَّرْبَ بالسَّيْفِ فِى سَبِيْلِ الله عَزَّوجَلَّ .

44-أنَّ الذِّكْرَ رَأسُ الشُّكْرِ، فَما شَكَرَ اللهَ تَعَالى مَنْ لم يَذْكُرْهُ .

45-أنَّ أكْرَمَ الخَلْقِ على الله تَعَالى مِنَ المُتَّقِيْنَ مَنْ لا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا بذِكْرِهِ؛ فَإنَّهُ اتَّقَاهُ في أمْرِهِ ونَهْيِهِ، وجَعَلَ ذِكْرَهُ شِعَارَهُ .

*** *** ***

46-أنَّ في القَلْبِ قَسْوَةً لا يُذِيْبُهَا إلَّا ذِكْرُ الله تَعَالى، فَيَنْبَغِي للعَبْدِ أنْ يُدَاوِيَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ بِذِكْرِ الله تَعَالى .

47-أنَّ الذِّكْرَ شِفَاءُ القَلْبِ ودَوَاؤُهُ، والغَفْلَةَ مَرَضُهُ، فالقُلُوْبُ مَرِيْضَةٌ وشِفَاؤُهَا ودَوَاؤُهَا في ذِكْرِ الله تَعَالى .

48-أنَّ الذِّكْرَ أصْلُ مُوَالاة الله عَزَّوجَلَّ ورَأسُهَا، والغَفْلَةَ أصْلُ مُعَادَاتِهِ ورَأسُهَا .

49-أنَّهُ مَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ الله عَزَّوجَلَّ، ومَا اسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بمِثْلِ ذِكْرِ الله تَعَالى، فالذِّكْرُ جَلَّابٌ للنِّعَمِ دَافِعٌ للنِّقَمِ .

50-أنَّ الذِّكْرَ يُوْجِبُ صَلاةَ الله عَزَّوجَلَّ ومَلائِكَتِهِ على الذَّاكِرِ، ومَنْ صَلَّى الله تَعَالى عَلَيْهِ ومَلائِكَتُهُ فَقَدْ أفْلَحَ كُلَّ الفَلاحِ، وفَازَ كُلَّ الفَوْزِ.

51-أنَّ مَنْ شَاءَ أنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الجَنَّةِ فِى الدُّنْيَا فَلْيَسْتَوْطِنَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ؛ فَإنَّهَا رِيَاضُ الجَنَّةِ .

52-أنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ المَلائِكَةِ فَلَيْسَ مَنْ مَجَالِسِ الدُّنْيَا لهُم مَجْلِسٌ إلَّا مَجْلِسٌ يُذْكَرُ الله تَعَالى فِيْهِ .

*** *** ***

53- أنَّ الله عَزَّوجَلَّ يُبَاهِي بالذَّاكِرِيْنَ مَلائِكَتَهُ .

54- أنَّ مُدْمِنَ الذِّكْرِ يَدْخُلُ الجَنَّةَ وهُوَ يَضْحَكُ .

55- أنَّ جَمِيْعَ الأعْمَالِ إنَّمَا شُرِعَتْ إقَامَةً لذِكْرِ الله تَعَالى، والمَقْصُوْدُ بِهَا تَحْصِيْلُ ذِكْرِ الله تَعَالى .

56- أنَّ أفْضَلَ أهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أكْثَرُهُم فِيْهِ ذِكْرًا لله عَزَّوجَلَّ، فَأفْضَلُ الصُّوَّامِ أكْثَرُهُم ذِكْرًا لله عَزَّوجَلَّ في صَوْمِهِم، و أفْضَلُ المُتَصَدِّقِيْنَ أكْثَرُهُم ذِكْرًا لله عَزَّوجَلَّ، وهَكَذَا في الصَّلاةِ والحَجِّ وسَائِرِ الأحْوَالِ .

57- أنَّ إدَامَةَ الذِّكْرِ تَنُوْبُ عَنِ التَّطَوُّعَاتِ، وتَقُوْمُ مَقَامَهَا سَوَاءٌ كَانَتْ بَدَنِيَّةً أو مَالِيَّةً كحَجِّ التَّطَوُّعِ وغَيْرِهِ .

58- أنَّ ذِكْرَ الله عَزَّوجَلَّ مِنْ أكْبَرِ العَوْنِ على طَاعَتِهِ؛ فَإنَّهُ يُحَبِّبُهَا إلى العَبْدِ ويُسَهِّلُهَا عَلَيْهِ ويُلَذِّذُهَا لَهُ، ويَجْعَلُ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِيْهَا، ونَعِيْمَهُ وسُرُوْرَهُ بِهَا بِحَيْثُ لا يَجِدُ لهَا مِنَ الكُلْفَةِ والمَشَقَّةِ والثِّقَلِ مَا يَجِدُ الغَافِلُ، والتَّجْرِبَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، يُوَضِّحُهُ .

59- أنَّ ذِكْرَ الله عَزَّوجَلَّ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ، ويُيَسِّرُ العَسِيْرَ، ويُخَفِّفُ المَشَاقَ؛ فَما ذُكِرَ الله عَزَّ وجَلَّ على صَعْبٍ إلَّا هَانَ، ولا على عَسِيرٍ إلَّا تَيَسَّرَ، ولا على مَشَقَّةٍ إلَّا خَفَّتْ، ولا على شِدَّةٍ إلَّا زَالَتْ، ولا على كُرْبَةٍ إلَّا انْفَرَجَتْ، فَذِكْرُ الله تَعَالى هُوَ الفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ، واليُسْرُ بَعْدَ العُسْرِ، والفَرَجُ بَعْدَ الغَمِّ والهَمِّ، يُوَضِّحُهُ .

60- أنَّ ذِكْرَ الله عَزَّوجَلَّ يُذْهِبُ عَنِ القَلْبِ مَخَاوِفَهُ كُلَّهَا، ولَهُ تَأثِيْرٌ عَجِيْبٌ في حُصُوْلِ الأمْنِ، فَلَيْسَ للخَائِفِ الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ خَوْفُهُ أنْفَعُ مِنْ ذِكْرِ الله عَزَّوجَلَّ إذْ بحَسَبِ ذِكْرِهِ يَجِدُ الأمْنَ ويَزُوْلُ خَوْفُهُ؛ حَتَّى كَأنَّ المَخَاوِفَ الَّتِي يَجِدُهَا أمَانٌ لَهُ، والغَافِلُ خَائِفٌ مَعَ أمْنِهِ؛ حَتَّى كَأنَّ مَا هُوَ فِيْهِ مِنَ الأمْنِ كُلِّهِ مَخَاوِفُ .

61- أنَّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً؛ حَتَّى إنَّهُ لَيَفْعَلُ مَعَ الذِّكْرِ مَا لا يُطِيْقُ فِعْلَهُ بدُوْنِهِ.

62- أنَّ عُمَّالَ الآخِرَةِ كُلَّهُم في مِضْمَارِ السِّبَاقِ، والذَّاكِرُوْنَ هُم أسْبَقُهُم في ذَلِكَ المِضْمَارِ، ولَكِنَّ القَتَرَةَ والغُبَارَ يَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ سَبْقِهِم؛ فَإذَا انْجَلى الغُبَارُ وانْكَشَفَ رَآهُمُ النَّاسُ، وقَدْ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ .

63- أنَّ الذِّكْرَ سَبَبٌ لتَصْدِيْقِ الرَّبِّ عَزَّوجَلَّ عَبْدَهُ؛ فَإنَّهُ أخْبَرَ عَنِ الله تَعَالى بِأوْصَافِ كَمَالِهِ ونُعُوْتِ جَلالِهِ؛ فَإذَا أخْبَرَ بِهَا العَبْدُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ، ومَنْ صَدَّقَهُ الله تَعَالى لم يُحْشَرْ مَعَ الكَاذِبِيْنَ، ورُجِيَ لَهُ أنْ يُحْشَرَ مَعَ الصَّادِقِيْنَ .

*** *** ***

64- أنَّ دُوْرَ الجَنَّةِ تُبْنَى بالذِّكْرِ؛ فَإذَا أمْسَكَ الذَّاكِرُ عَنِ الذِّكْرِ أمْسَكَتِ المَلائِكَةُ عَنِ البِنَاءِ .

65- أنَّ الذِّكْرَ سَدٌّ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ جَهَنَّمَ؛ فَإذَا كَانَتْ لَهُ إلى جَهَنَّمَ طَرِيْقٌ مِنْ عَمَلٍ مِنَ الأعْمَالِ كَانَ الذِّكْرُ سَدًّا في تِلْكَ الطَّرِيْقِ؛ فَإذَا كَانَ ذِكْرًا دَائِمًا كَامِلًا كَانَ سَدًّا مُحْكَمًا لا مَنْفَذَ فِيْهِ، وإلَّا فَبِحَسَبِهِ!

66- أنَّ المَلائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ للذَّاكِرِ، كَمَا تَسْتَغْفِرُ للتَّائِبِ.

67- أنَّ الجِبَالَ والقِفَارَ تَتَبَاهَى وتَسْتَبْشِرُ بمَنْ يَذْكُرُ الله عَزَّوجَلَّ عَلَيْهَا .

68- أنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ الله عَزَّوجَلَّ أمَانٌ مِنَ النِّفَاقِ؛ فَإنَّ المُنَافِقِيْنَ قَلِيْلُو الذِّكْرِ لله عَزَّوجَلَّ .

69- أنَّ للذِّكْرِ مِنْ بَيْنَ الأعْمَالِ لَذَّةً لا يُشْبِهُهَا شَيءٌ، فَلَوْ لم يَكُنْ للعَبْدِ مِنْ ثَوَابِهِ إلَّا اللَّذَّةُ الحَاصِلَةُ للذَّاكِرِ، والنَّعِيْمُ الَّذي يَحْصُلُ لقَلْبِهِ لكَفَى بِهِ، ولِهذَا سُمِّيَتْ مَجَالِسُ الذِّكْرِ: رِيَاضُ الجَنَّةِ .

70- أنَّ الذِّكْرَ يَكْسُو الوَجْهَ نَضْرَةً في الدُّنْيَا، ونُوْرًا في الآخِرَةِ، فالذَّاكِرُوْنَ أنْضَرُ النَّاسِ وُجُوْهًا في الدُّنْيَا، و أنْوَرُهُم في الآخِرَةِ .

71- أنَّ في دَوَامِ الذِّكْرِ في الطَّرِيْقِ والبَيْتِ والحَضَرِ والسَّفَرِ والبِقَاعِ تَكْثِيْرًا لشُهُوْدِ العَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ .

72- أنَّ في الاشْتِغَالِ بالذِّكْرِ اشْتِغَالًا عَنِ الكَلامِ البَاطِلِ مِنَ الغِيْبَةِ واللَّغْوِ ومَدْحِ النَّاسِ وذَمِّهِم وغَيْرَ ذَلِكَ؛ فَإنَّ اللِّسَانَ لا يَسْكُتُ الْبَتَّةَ؛ فَإمَّا لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وإمَّا لِسَانٌ لَاغٍ، ولا بُدَّ مِنْ أحَدِهِمَا .

73- وهِيَ الَّتِي بَدَأنَا بذِكْرِهَا وأشَرْنَا إلَيْهَا إشَارَةً، فَنَذْكُرُهَا هَاهُنَا مَبْسُوْطَةً لعَظِيْمِ الفَائِدَةِ بِهَا، وحَاجَةِ كُلِّ أحَدٍ، بَلْ ضَرُوْرَتُهُ إلَيْهَا: وهِيَ أنْ الشَّيَاطِيْنَ قَدِ احْتَوَشَتِ العَبْدَ، وهُمْ أعْدَاؤُهُ، فَمَا ظَنُّكَ برَجُلٍ قَدِ احْتَوَشَهُ أعْدَاؤُهُ المُحْنِقُوْنَ عَلَيْهِ غَيْظًا، وأحَاطُوا بِهِ، وكُلٌّ مِنْهُم يَنَالُهُ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ والأذَى، ولا سَبِيْلَ إلى تَفْرِيْقِ جَمْعِهِم عَنْهُ إلَّا بذِكْرِ الله عَزَّوجَلَّ، انْتَهَى كَلامُهُ رَحِمَهُ الله باخْتِصَارٍ على رُؤُوْسِ الفَوَائِدِ .

***   ***   ***

وهَذِهِ بَعْضُ الفَوَائِدِ الَّتِي فَتَحَهَا الله تَعَالى على العَبْدِ الفَقِيْرِ إتْمَامًا للمَائَةِ [87] :

74- أنَّ فِي الذِّكْرِ تَحْقِيْقًا لعُبُوْدِيَّةِ الله تَعَالى، لأنَّ الذِّكْرَ دُعَاءٌ، والدُّعَاءُ هُوَ أصْلُ العِبَادَةِ، فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ : (الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ)، أخْرَجَهُ أهْلُ السُّنَنِ الأرْبَعِ وغَيرُهُم، وهُوَ صَحِيحٌ .

وقَدْ قَالَ تَعَالى : (يا أيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم واشْكُرُوا لله إنْ كُنْتُم إيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ) (البقرة : 172) .

75- أنَّ فِي الذِّكْرِ زِيَادَةً للإيْمَانِ، وقَدْ تَقَرَّرَ مِنْ قَاعِدَةِ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ : أنَّ الإيْمَانَ قَوْلٌ وعَمَلٌ، وعَلَيْهِ فالذِّكْرُ قَوْلُ اللِّسَانِ وعَمَلُ القَلْبِ، فَالذَّاكِرُ فِي زِيَادَةٍ للإيْمَانِ، وقَدْ قَالَ تَعَالى : (إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال : 2) .

76- أنَّ فِي الذِّكْرِ طَمَأنِيْنَةً للقَلْبِ، كَمَا قَالَ تَعَالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله ألَا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) (الرعد : 28) .

77- أنَّ الذَّاكِرَ يَعِيْشُ حَيَاةً طَيِّبَةً؛ وهَذَا مَا لا يَجِدُهُ المُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ رِبِّهِ؛ حَيْثُ تَرَاهُ دَائِمًا فِي مَعِيْشَةٍ ضَنْكَةٍ، ولكُلٍّ بحَسَبِ ذِكْرِهِ لرَبِّهِ أو إعْرَاضِهِ عَنْهُ نَصِيْبٌ مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ، وقَدْ قَالَ تَعَالى : (مَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أعْمَى) (طه : 124) .

وقَوْلُهُ تَعَالى : «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أجْرَهُمْ بِأحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل : 97) .

78- أنَّ فِي الذِّكْرِ وِقَايةً ورُقْيَةً وحِصْنًا مِنَ جَمِيْعِ الأمْرَاضِ قَبْلَ وُقُوْعِهَا : كالعَيْنِ والسِّحْرِ وغَيْرِهَا مِنْ أمْرَاضِ القُلُوْبِ والأبْدَانِ، ومَا يَعْلَمُهُ العَبْدُ وما لا يَعْلَمُهُ .

89- أنَّ فِي الذِّكْرِ شِفَاءً وعِلاجًا مِنَ جَمِيْعِ الأمْرَاضِ بَعْدَ وُقُوْعِهَا، وهَذَا لا يَجِدُهُ العَبْدُ ولا يَحُسُّهُ حَقِيْقَةً إلَّا مَنْ ذَكَرَ الله بقَلْبٍ سَلِيْمٍ، وتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، ومَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فَهُوَ حَسْبُهُ تَعَالى .

وقَدْ قَالَ تَعَالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلَّا خَسَارًا) (الإسراء : 82) .

*** *** ***

87- متممة المائة على فوائد الذكر لابن القيم - الشيخ د/ ذياب الغامدي.

80- أنَّ كُلَّ عِبَادَةٍ لهَا حَدٌّ ونِهَايَةٌ في الدُّنيَا؛ إلَّا الذِّكْرَ فَإنَّهُ لا نِهَايَةَ لَهُ ولا حَدًّا؛ لأمُوْرٍ:

الأوَّلُ: أنَّ الذِّكْرَ عِبَادَةٌ لا تَخْرُجُ عَنْ دُعَاءِ العِبَادَةِ أو دُعَاءِ المَسْألَةِ، وكِلاهُمَا مُتَعَلِّقٌ بأسْمَاءِ الله وصِفَاتِهِ، وقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ أنَّ أسْمَاءَ الله وصِفَاتِهِ غَيْرَ مَحْصُوْرَةٍ بعَدَدٍ.

وقَدْ صَحَّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ برِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوْبَتِكَ، وأعُوْذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أنْتَ كَمَا أثْنَيْتَ على نَفْسِكَ» أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وصَحَّ أيْضًا عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ أيْ يَوْمَ القِيَامَةِ: (فَأحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ يُلْهِمُنِيهِ الله) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إذَا أصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ و ابنُ عَبْدِكَ وَ ابنُ أمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ؛ أسْألُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أوْ أنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أوْ عَلَّمْتَهُ أحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إلَّا أذْهَبَ الله عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَ أبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»، قَالُوا يَا رَسُولَ الله يَنْبَغِي لَنَا أنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أجَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ» أخْرَجَهُ أحْمَدُ وغَيْرُهُ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

الثَّاني: أنَّ الذِّكْرَ عِبَادَةٌ تَبْقَى مَعَ أهْلِهَا في الجِنَّةِ، وأهْلُ الجَنَّةِ خَالِدُوْنَ، يُوَضِّحُهُ مَا يَلي.

81- أنَّ الذِّكْرَ هِيَ العِبَادَةُ الَّتِي تَبْقَى مَعَ المُؤْمِنِيْنَ في جَنَّةِ الخُلْدِ، وذَلِكَ بِمَا يُجْرِيْهِ الله تَعَالى على ألسِنَةِ أوْلِيَائِهِ في الجَنَّةِ مِنَ تَسْبِيْحٍ وتَحْمِيْدٍ وتَكْبِيْرٍ وتَهْلِيْلٍ.

82- أنَّ الذِّكْرَ يَبْعَثُ في قَلْبِ الذَّاكِرِ اعْتِرَافًا بالقُصُوْرِ والحَاجَةِ والضَّعْفِ والفَقْرِ إلى الله تَعَالى، لِذَا تَرَاهُ مُجْتَهِدًا في ذِكْرِ رَبِّهِ صَبَاحَ مَسَاءَ، قَائِمًا وقَاعِدًا، كَمَا قَالَ تَعَالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: 191).

83- أنَّ الذِّكْرَ هُوَ العِبَادَةُ الَّتِي تُفَرَّجُ عِنْدَهُ الكُرُوْبُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ جَمِيْعِ الخَلائِقِ إنْسِهِم وجِنِّهِم مُؤمِنِهِم وكَافِرِهِم، وذَلِكَ يَوْمَ يَقُوْمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ يَدَي رَبِّهِ تَبَارَكَ وتَعَالى فَيَدْعُو رَبَّهُ بمَحَامِدَ عَظِيْمَةٍ مِنَ الذِّكْرِ والتَّسْبِيْحِ والتَّحْمِيْدِ، مَا يَرْضَى عِنْدَهَا المَوْلى عَزَّ وجَلَّ؛ فَيُقِيْمَ حِيْنَهَا الحِسَابَ بَيْنَ الخَلائِقِ.

وهُوَ مَا صَحَّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ فِي حَدِيْثِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ: «فَأُوتَى فَأقُولُ أنَا لَهَا فَأنْطَلِقُ فَأسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَأقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لا أقْدِرُ عَلَيْهِ

الآنَ يُلْهِمُنِيهِ الله ثُمَّ أخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأقُولُ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ... الحَدِيْثَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، واللَّفظُ لمُسْلِمٍ في حَدِيْثٍ طَوِيْلٍ .

84- أنَّ الذِّكرَ هُوَ مِنْ أوَّلِ العِبَادَاتِ الَّتِي يَسْمَعُهَا قَلْبُ المَوْلُوْدِ، وذَلِكَ يَوْمَ يُؤذَّنُ في أُذُنِه عِنْدَ وِلادَتِه، كَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ .

85- أنَّ الذِّكْرَ هُوَ مِنْ أجَلِّ العِبادَاتِ الَّتِي تُقَالُ عِنْدَ الرّحِيْلِ مِنَ الدُّنْيَا، و أفْضَلِ الأذْكَارِ الأخِيْرَةِ الَّتِي يُوَفَّقُ العَبْدُ المُؤمِنُ مِنْ نُطْقِهَا، وذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُوْنُ آخِرُ كَلامِهِ مِنَ الدُّنْيَا : لا إلَهَ إلَّا الله .

وقَدْ صَحَّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ : «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ : لا إلَهَ إلَّا الله؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» أخْرَجَهُ أبو دَاوُدَ وغَيْرُهُ، وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحُ الإسْنَادِ .

86- أنَّ الذِّكْرَ هُوَ مِنْ أجَلِّ و أفْضَلِ العِبادَاتِ الَّتِي تُذْكَرُ وتُقَالُ عِنْدَ مَوْتِ العَبْدِ المُسْلِمِ، فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ : «لَقِّنُوا مَوْتَاكُم : لا إلَهَ إلَّا الله» أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

87- أنَّ الذِّكْرَ هُوَ أوَّلُ العِبَادَاتِ الَّتِي أوْجَبَهَا الله على الخَلائِقِ، وذَلِكَ لكَوْنِهَا أصْلَ الدِّيْنِ وكَلِمَةَ الإسْلامِ، ولا يَنَالُ العَبْدُ شَرَفَ الإسْلامِ ولا يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الإسْلامِ إلَّا إذَا نَطَقَ : بلا إلَهَ إلَّا الله، وهُوَ قَادِرٌ على النُّطْقِ .

فبِذْكِرِ : لا إلَهَ إلَّا الله، يَدْخُلُ العَبْدُ الإسْلامَ، ولَيَسْ على العَبْدِ شَيءٌ وَاجِبٌ مِنَ العِبَادَاتِ قَبْلَ التَّوْحِيْدِ .

88- أنَّ الذِّكْرَ عِبَادَةٌ ثَقِيْلَةٌ في المِيْزَانِ، وذَلِكَ لعَظِيْمِ أجْرِهَا، وكَبِيْرِ ثَوَابِهَا، وتَكْثِيْرِ حَسَنَاتِهَا ،كَمَا أنَّهُ عِبَادَةٌ حَبِيْبَةٌ إلى الرَّحْمَنِ تَعَالى، خَفِيْفَةٌ على اللِّسَانِ، وهَذِهِ وغَيْرُهَا يَجْمَعُهَا حَدِيْثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ الله العَظِيمِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْه .

89- أنَّ الذَّاكِرَ غَرِيْبٌ بَيْنَ إخْوَانِه، فَرِيْدٌ بَيْنَ أقْرَانِه، مُسْتَوْحِشٌ مِنْ قِلَّةِ الذَّاكِرِيْنَ مِنْ أهْلِ زَمَانِهِ، بَلْ هُوَ قَلِيْلٌ مِنْ كَثِيْرٍ، كَمَا قَالَ تَعالى : «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» (سبأ : 13) .

وقَوْلُهُ تَعَالى : «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ» سورة الواقعة (10-14) . وقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (بَدَأَ الإسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) أخْرَجَهُ ابنُ مَاجَه وغَيْرُهُ، وهُوَ حَسَنُ الإسْنَادِ .

90- أنَّ الذِّكْرَ يُنَزِّلُ القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، و يُجْلِبُ الرِّزْقَ بالأمْوَالِ والبَنِيْنِ والثَّمَرَاتِ والخَيْرَاتِ، ويُجْرِي الأنْهَارَ، كَمَا قَالَ تَعَالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا * ويُمْدِدْكُم بأمْوَالٍ وبَنِيْنَ ويَجْعَلْ لَكُم أنْهَارًا) (نوح: 10-12).

*** *** ***

91- أنَّ الذِّكْرَ أقْرَبُ العِبَادَاتِ إلى الإخْلاصِ، و أبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ والسُّمْعَةِ، لأنَّهُ مُذَاكَرَةٌ ومُنَاجَاةٌ بَيْنَ العَبْدِ ورَبِّهِ، لا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا أحَدٌ سِوَى الله تَعَالى.

92- أنَّ الذِّكْرَ لا تَشْرُكُهُ عِبَادَةٌ في جِنْسِهِ؛ لأنَّهُ مِنْ جِنْسِ القُرْآنِ الَّذِي هُوَ كَلامُ الله تَعَالى، خِلافًا لِجَمِيْعِ العِبَادَاتِ.

فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ: «أفْضَلُ الكَلَامِ بَعْدَ القُرْآنِ أرْبَعٌ، وهُنَّ مِنَ القُرْآنِ: سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، ولَا إلَهَ إلَّا الله، والله أكْبَرُ» أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ والنَّسَائيُّ.

93- أنَّ الذِّكْرَ هُوَ ثَاني اثْنَيْنِ مِنَ الأسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ الله بِهِمَا العَذَابَ والهَلاكَ عَنْ عِبَادِهِ في الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ تَعَالى: «وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الأنفال: 33).

94- أنَّ الذِّكْرَ يَحْفَظُ الذَّاكِرَ ويَحْرُسُهُ مِنْ أعْيُنِ وعَبَثِ الشَّيَاطِيْنَ عِنْدَ دُخُوْلِهِ إلى مَوَاطِنِ الشَّيَاطِيْنِ، وعِنْدَ جُلُوْسِهِ في مَسَاكِنِهِم ومَأوَاهُم، وعِنْدَ نُزُوْلِهِ بأرْضِ فَلاةٍ ومَفَازَةٍ، فَلا يَرَوْنَ مِنْهُ عَوْرَةً ولا سَوْءَةً، ولا يَطَّلِعُوْنَ على مَا يَسُوْءُهُ ويَسْتُرُهُ، ولا يَقْدِرُوْنَ على ضُرِّهِ، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم: «سَتْرُ مَا بَيْنَ الجِنِّ وعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إذَا دَخَلَ الكَنِيْفَ أنْ يَقُوْلَ: بِسْمِ الله» أخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ وابنُ مَاجَه وغَيْرُهُمَا، وقَدْ حَسَّنَهُ بَعْضُهُم، ولَهُ شَوَاهِدُ ومُتَابَعَاتٌ يُسْتَأنَسُ بِهَا.

وقَالَ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أعُوْذُ بكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لم يَضُرُّهُ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

95- أنَّ الذِّكْرَ يَحْفَظُ الذَّاكِرَ ويَحْرُسُهُ مِنْ شَرِّ وأذَى الشَّيَاطِيْنَ عِنْدَ خُرُوْجِهِ مِنْ مَنْزِلِهِ، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم يَعْنِي إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: « مَنْ قَالَ: بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ على الله، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله؛ يُقَالُ لَهُ: كُفِيْتَ ووُقِيتَ وهُدِيْتَ، وتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ فَيَقُوْلُ لشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟!» أخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ وأبو دَاوُدَ، وهُوَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ.

96- أنَّ الذّكْرَ يَحْفَظُ الذَّاكِرَ في نَفْسِهِ وزَوْجِهِ، ويَحْفَظُهُ أيْضًا في وَلَدِهِ وعَقِبِهِ مِنْ شَرّ وأذَى الشَّيَاطِيْنَ، وذَلِكَ عِنْدَ جِمَاعِهِ مَعَ أهْلِهِ، كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أحَدَكُم إذَا أتَى أهْلَهُ؛ قَالَ : بِسْمِ الله اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ؛ لم يَضُرُّهُ الشَّيْطَانُ أبَدًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

*** *** ***

97- إنَّ الذَّاكِرَ لله تَعَالى أكْثَرُ النَّاسِ حُبًّا للقَاءِ الله ومُلاقَاتِهِ، وذَلِكَ لكَثْرَةِ تَعَلُّقِهِ برَبِّهِ ومُدَاوَمَتِهِ لذِكْرِهِ تَعَالى، وقَدْ صَحَّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ : (مَنْ أحَبَّ لِقَاءَ الله أحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

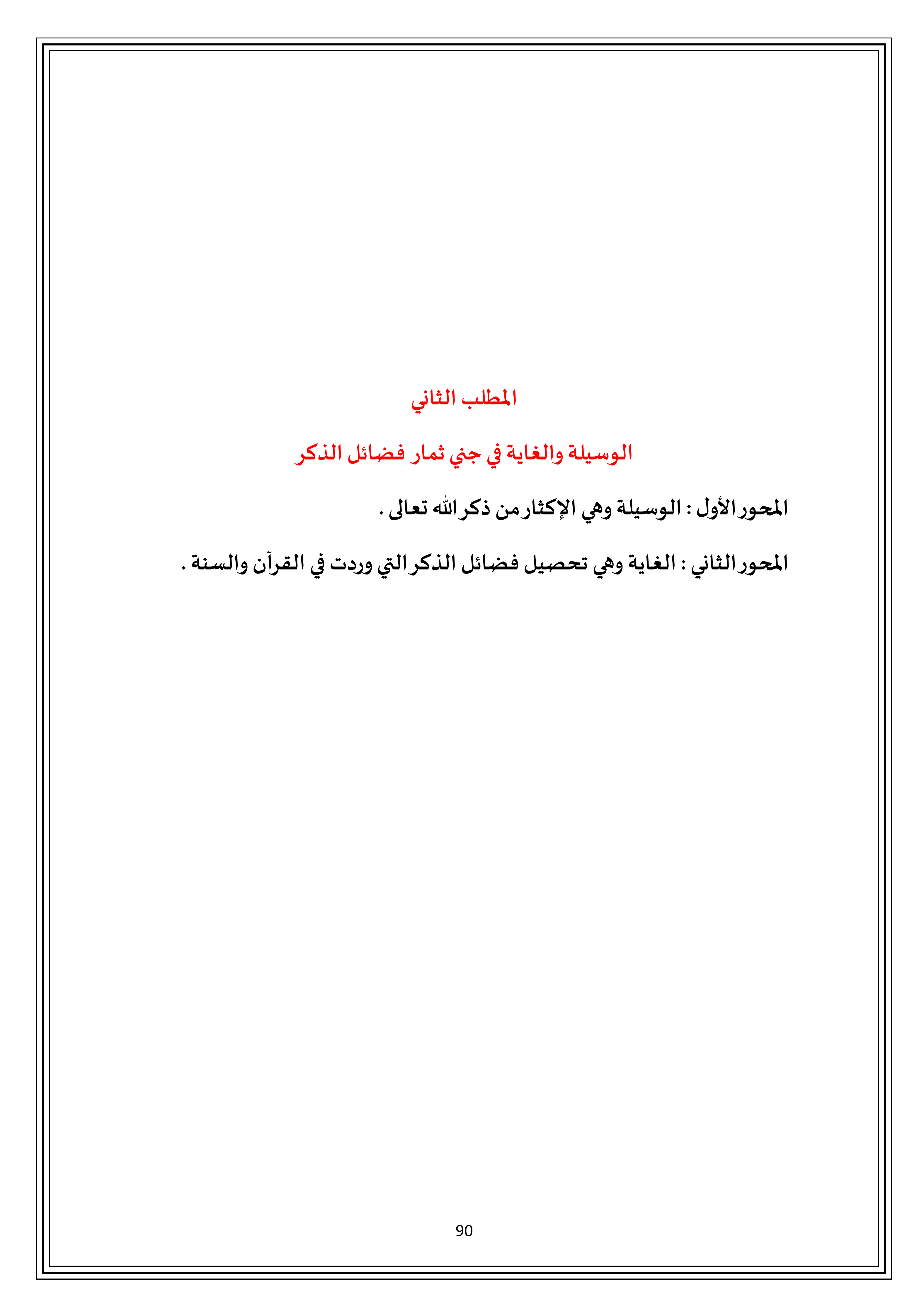
98- إنَّ الذَّاكِرَ لله تَعَالى مِنْ أقْوَى النَّاسِ إيْمَانًا بالقَضَاءِ والقَدَرِ، و أفْضَلِهِم عِنْدَهُ تَسْلِيْمًا واسْتِرْجَاعًا، كَمَا أنَّهُ أعْرَفُ الخَلْقِ بحَقِّ الله عِنْدَ تَقْدِيْرِ المَصَائِبِ مِنْ غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالى : (الَّذِينَ إذَا أصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لِلَّهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) سورة البقرة (156- 157) .

99- أنَّ الذَّاكِرَ لله تَعَالى أقْرَبُ النَّاسِ تَوْبَةً إلى الله مِنْ غَيْرِهِ، كَمَا أنَّهُ أصْدَقُهُم ذِكْرًا لله تَعَالى عِنْدَ مُوَاقَعَةِ الذُّنُوْبِ المَعَاصِي، كَمَا قَالَ تَعَالى : «وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (آل عمران : 135) .

100- أنَّ الذَّاكِرَ لله تَعَالى يُكْتَبُ اسْمُهُ في دِيْوَانِ الذَّاكِرِيْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ، ويُحْشَرُ مَعَهُم، وحَسْبُكَ بِهَذَا شَرَفًا ومَنْزِلَةً .

وبِهَذِهِ الفَائِدَةِ؛ نَخْتِمُ فَوَائِدَ الذِّكْرِ إتْمَامًا لمَا بَدَأهُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله، في حِيْنَ أنَّهُ قَدْ بَاتَ لَدَى العَامَّةِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ أنَّ فَوَائِدَ الذِّكْرِ لا تَنْتَهِي إلى حَدٍّ، ولا تَقِفُ عِنْدَ عَدٍّ، فَهِيَ نَفَحَاتٌ إلهِيَّةٌ، وفُتُوْحَاتٌ رَبَّانِيَّةٌ يَفْتَحُهَا الله عَزَّ وجَلَّ على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ المُتَّقِيْنَ، فمُسْتَقِلٌّ ومُسْتَكْثِرٌ، والله تَعَالى أعْلَمُ، ورَدُّ العِلْمِ إلَيْهِ أسْلَمُ .

*** *** ***



المطلب الثاني

الوسيلة والغاية في جني ثمار فضائل الذكر

المحور الأول : الوسيلة وهي الإكثار من ذكر الله تعالى .

المحور الثاني : الغاية وهي تحصيل فضائل الذكر التي وردت في القرآن والسنة .

ها هنا شيئان : وسيلة وغاية :

أما الغاية فهي : أن نجني ثمار ذكر الله تعالى في الدنيا والآخرة - إن شاء الله تعالى - **وذلك بالتحقق بما ورد لها من الفضائل في نصوص الكتاب والسنة .**

وأما الوسيلة فهي : **أن نذكره تعالى ذكرا كثيرا، مخلصين في ذكرنا له طامعين فيما عنده دون رياء ولا سمعة .**

ولبيان ذلك أقول ومن الله أرجو العون والقبول :

المحور الأول : بيان الوسيلة (الإكثار من ذكر الله تعالى)، وذلك في النقاط التالية :

1- **الإكثار من الذكر والفكر: مما لا يخفى على أحد من البشر أنَّ من أراد الوصول إلى نتائج باهرة وثمار ظاهرة من عمل ما** – أياً كان مجاله – **فلا بد له من المثابرة عليه بجد ونشاط ، فالتاجر المبتدئ – مثلاً - لكي يتمكن من الوصول إلى الأرباح الطائلة والخبرة الواسعة في التجارة ، لا بد له من فتح محله في كل صباح ولا يغلقه إلا ليلا طوال العام كما أنه لا بد له من مخالطة الزبائن ومعرفة أنواع السلع التي تعجبهم وطريقة العرض التي ترضيهم وتجذبهم ، فإنه إن فعل ذلك وصل إلى غايته وحصل على مراده .**

2- **كذلك حال المؤمن الذاكر الذي يريد التجارة مع الله تعالى فلا بد له من الإكثار من الذكر والمواظبة عليه** ، ولهذا تكرر الأمر بالإكثار من الذكر في القرآن الكريم كقوله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)** [الأحزاب: 41، 42] **وقال تعالى : (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[الجمعة: 10]. ونحوهما .

قال بعض العلماء: إن الأمر الإلهي هنا - في مثل هذا الآيات - ليس المراد منه أن تذكُر الله بل أن تكثر من ذكر الله تعالى ، وعليه فمجرد الذكر لا يُعَدُّ امتثالا . وقد سبق تفسيرها.

3- **فمن هنا تفهم - أخي الحبيب - أن المكثرين من الذكر هم الذين سيجنون ثماره من تزكية النفس وتطهيرها وترقيتها** في مدارج الكمال والإسراع في منازل السير إلى الله تعالى ، وتأمل كيف وصف الله حالهم بقوله تعالى **(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ)** [آل عمران: 191].

4- **وللوصول إلى الإكثار من الذكر والفكر لا بد من اتخاذ ورد يومي : يقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى : اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى** - هو عنا راض - **و أنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله تعالى وعارفاً بالله سبحانه، وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه.**

وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته و أفعاله. وليس في الوجود سوى الله تعالى و أفعاله.

5- **يتابع الغزالي قائلاً : ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء - الاكتفاء - منها بقدر البلغة والضرورة** وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار. والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وأن الله تعالى لا يمل حتى تملوا.

6- **ثم يقول رحمه الله : فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها. فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكروالفكرينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا. فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلاً والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساوياً؛ فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد.**

7- **ومهما تيسَّر الفكر فهو أشرف العبادات** إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين،

أحدهما : زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف.

والثاني: زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله.

فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة. والذكر أيضاً يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى و أثبت وأعظم.

8- **الحرص على الأذكار اليومية :** وهي الحرص على أذكار النوم والاستيقاظ والأذكار المتعلقة بالصلاة و تلاوة القرآن وأذكار الصباح والمساء ، والذكر المطلق من تسبيح وتحميد ونحوهما والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأذكار دخول البيت والمسجد والخروج منهما ونحوها ، وأذكار اللبس والخلع للملابس وركوب الدابة أو السيارة أو أي وسيلة من وسائل المواصلات وغيرها من الأذكار ، ولا يخفى على القارئ الكريم أن الأذكار ألف العلماء فيها مؤلفات خاصة بها ككتاب الأذكار للنووي والحصن الحصين لابن الجزري ، وحصن المسلم للقحطاني من المعاصرين .

وقد قام حجة الإسلام الغزالي بتوضيح الأوراد المناسبة لكل مسلم على حسب حاله ووظيفته الدنيوية في الإحياء فقال (بتصرف) :

اعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فإنه: إما عابد وإما عالم وإما متعلم وإما وال وإما محترف - موظف - وإما مستغرق بالواحد الصمد عن غيره [88]:

الأول العابد : وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلاً ولو ترك العبادة لجلس بطالاً

فإن قلت: فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد؟

فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى و إيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه.

فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الأذكار المختلفة على الأوقات ، والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضاً تختلف.

ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلاً وأحس لها بوقع قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعاً.

*** *** ***

الثاني العالم : الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد؛ فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة، ويحتاج إلى مدة لها لا محالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها.

ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم. وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى ؟ وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله. وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعاً.

88- يريد به الموظف الذي تقاعد في بيته أو أي إنسان تفرغ من أشغال الدنيا وليس له وظيفة يقوم بها ، وهذه الفئة أكثرهم منن تجاوز الستين أو السبعين ، والو اقع يقول أن الثيرين من هذه الفئة قلما ينتهون لاغتنام الوقت في ذكر الله تعالى وتلاوة كلامه ، والله هو الموفق .

وإنما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك" دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضاً فإن استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع.

*** *** ***

الثالث المتعلم - طالب العلم - **: والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل** فحكمه **حكم** العالم في ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا. وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل. بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات.

ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : **(يا أبا ذرٍّلأنْ تغدو فتعلمُ آيةً من كتابِ اللهِ خيرٌلك من أنْ تصليَ مائةَ ركعةٍ ولأنْ تغدو فتعلمُ بابًا من العلمِ عُمل به أو لم يُعملْ به خيرٌلك من أنْ تصليَ ألفَ ركعةٍ)** [89].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : **(إذا رأيتُم رياضَ الجنةِ فارتَعوا قيل وما رياضُ الجنةِ قال حِلَقُ الذِّكرِ)** رواه أحمد والترمذي .

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء.

وقال رجل للحسن رحمه الله : أشكو إليك قساوة قلبي فقال: أدنه من مجالس الذكر.

89- أخرجه ابن ماجه (219)، و ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة - (54)، والديلمي في الفردوس - (8362) باختلاف يسير وحسنه الدمياطي في المتجر الرابح حديث رقم:(191) . (الموسوعة الحديثية) .

الرابع : المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعياله : فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسبيحات ونحوها من الأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل.

وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظوراً - حارسا - فإنه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه.

ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد. وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التي ذكرناها لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتتجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر .

*** *** ***

الخامس الوالي : مثل الحاكم والقاضي والمتولي في أمور المسلمين - كالوزراء ومديري الشركات :-
فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل، كما كان عمر رضي الله عنه يفعله إذ قال: مالي وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي. وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما: العلم، والآخر: الرفق بالمسلمين، لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات يتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه.

السادس : المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمومه هم واحد - يعني المتفرغ من أشغال الدنيا - : فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله تعالى فيه.

فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحد وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال، فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد.

فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله عز وجل كما قال تعالى : (**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**) الذاريات (49-50) وتحقق فيها قوله تعالى : (**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**) الكهف (16) .

وإليه الإشارة بقوله تعالى (**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ**) الصافات (99) وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهراً طويلاً فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال. و **أنّى ترزق هذه الرتبة لكل أحد ؟.**

فيتعين على الكافة – يعني تلك الفئات - ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى ، قال تعالى (**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا**) الإسراء (84) **فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض.**

*** *** ***

فائدة :

جواب على سؤال هام توجه به أحدهم إلى لجنة الفتوي بالشبكة الإسلامية قائلاً : هو ماهو المقياس لكي يكون المسلم من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات هل تكفي أذكار الصباح والمساء أم ماذا؟ .

وكانت الإجابة كالتالي : [90] **من أراد أن يكون من الذاكرين الله كثيرا فعليه أن يقتدي في ذلك بنبينا صلى الله عليه وسلم فكان يذكر الله في كل أحيانه وعلى كل أحواله، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قالت : (كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ)**. رواه مسلم، وأما البخاري فرواه معلقاً.

وعليه أن يكون لسانه رطبا بذكر الله وقلبه عامرا بتعظيمه وإجلاله.. فقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله: إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فباب نتمسك به جامع؟ قال: (**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عزوجل**). رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني.

90- كيف يصبح المرء من الذاكرين الله كثيرا – الشبكة الإسلامية - رقم الفتوى: 132763 – بتصرف .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه- في قول الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)** آل عمران (102) فقال : **أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.**

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**من استيقظ من الليل و أيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات)**. رواه أبوداود وغيره، وفي رواية لغيره: **(كُتِبا لَيْلَتَئِذٍ مِن الذاكرين الله كثيرا والذاكرات)**. الحديث صححه الألباني.

وقال ابن الصلاح: إذا واظب المسلم على الأذكار المأثورة الثابتة صباحا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارًا كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات .

*** *** ***

فما أعظم أخي المسلم وما أيسر أن تكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، وأن يبقى لسانك وقلبك وظاهرك وباطنك على هذا الذكر، فلا تغفل عن الله طرفة عين.

وعلى هذا فإن الذي يريد أن يكون من الذاكرين الله كثيرا لا يكتفي بالاقتصار على أذكار الصباح والمساء ثم يظل في غفلة بعد ذلك، وإنما عليه أن يكون لسانه رطبا بالذكر وقلبه عامرا بالحضور وتعظيم الله تعالى وجوارحه في طاعة.. فكل إناء بالذي فيه ينضح.

*** *** ***

المحور الثاني

الغاية وهي تحصيل فضائل الذكر التي وردت في القرآن والسنة

لقد ذكرت ما ورد من نصوص الكتاب والسنة في فضائل الذكر في مبحث سابق وقد قمت بحصرها فوجدتها تزيد على الثلاثين فضيلة [91] ، وهذا كله في الفضائل العامة للذكر دون الدخول في الفضائل التي تخص كل ذكر بعينه والمؤمن يطمح في الوصول إلى ذلك كله ، ولا يناله إلا بالإكثار من الذكر كما سبق شرحه .

ولذا أحببت في هذا المقام أن أعطي بعض النماذج على حصول الغاية وهي قطف ثمار الذكر في الدنيا والآخر؛ و أنت أخي الحبيب تستطيع أن تقيس عليها بقية الفضائل التي سبقت الإشارة إليها .

أولاً : الذكر يحيي القلوب الميتة ويعالج القلوب المريضة :

إننا أصحاب أخطاء، فلقد خلق الله الناس جميعًا خطائين، ولا تكون العصمة لأحد من الخلق إلا من عصمه الله من أنبيائه ورسله؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون**)؛ رواه الترمذي.

قال عبدِالله بن مسعودٍ رضي الله عنه : (الإثمُ: حوازُ القلوبِ)، وفي روايةٍ: (**حوازُ الصدورِ**).

وفي روايةٍ: (**ما كان من نظرةٍ فللشيطانِ فيها مطمعٌ، والإثمُ حوازُ القلوبِ**) [92].

وعليه نقول الوقوع في الذنب محتمل والإسراع في التوبة هو المطلوب ولكن المصيبة الكبرى في الإكثار من الذنوب والإصرار عليها ، ذلك هو الذي يؤدي إلى موت القلب.

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى :

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبَ — وقد يورث الذلّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ — وخيرٌ لنفسك عصيانُها

*** *** ***

91- ورد في القرآن (20) آية وفي الأحاديث (14) حديثا في فضائل الذكر مطلقا دون التعرض إلى نوع من أنواعه كالتسبيح والتهليل والاستغفار ونحوها . والمجموع (34) فضيلة وهي تدخل ضمن فوائده .

92- مجمع الزوائد - للهيثمي - (1/ 181) .

وما دام الأمر كذلك لزمنا البحث عن علاج، والعلاج الشافي الكافي للقلب هو إدامة ذكر الله عز وجل، وكثرته، والمواظبة عليه؛ وذلك ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ لكل شيءٍ صقالةً، وإنَّ صقالةَ القُلوب ذكرُ الله) [93].

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : (لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلب ذكر الله .عزوجل . ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، فجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك صدأ، فإذا ذكره جلاه.

وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب .

وجلاؤه بشيئين : بالاستغفاروالذكر.

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته، كان الصدأ متراكبا على قلبه، وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب: لم ينطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم، فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه .

فإذا تراكم عليه الصدأ واسود، وركبه الران ! فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقا، ولا ينكر باطلا، وهذا أعظم عقوبات القلب، وأصل ذلك من الغفلة، واتباع الهوى، فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره ،قال تعالى : (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) الكهف(28). [94]

قلت : ما نراه من انحراف في المفاهيم الإسلامية [95] من بعض المشاهرين بغض النظر عن توجهاتهم و انتماءاتهم سببه غفلتهم عن الإكثار من ذكر الله تعالى وعن الاستغفار لذنوبهم .

93- رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وذكره ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب . (الكلم الطيب) .

94- صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ص80 . (نقلا عن موقع الكلم الطيب) .

95-هناك عدد من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والتي أصبح الحق فيها باطلا والباطل حقا لكثرة طرقها في وسائل الإعلام من قبل من يسمون بالنخبة حتى سلم العامة لهم واعتقدوا أن كلامهم هو الصواب ، ومن ذلك:

1- انتشار الإسلام بالسيف والقوة : فقد طعن كثيرٌ من الجهلاء في قضية الفتوحات الإسلاميّة و انتشار الإسلام، واعتقدوا اعتقاداً خاطئاً أنّ الإسلام لم يكن لينتشر لولا استخدام السيف والقوة في مواجهة الخصوم، وهذا المفهوم الخاطئ لانتشار الدين والفتوحات الإسلاميّة لا يستند إلى دليل،

2- تعدّد الزوجات : كثيراً ما يتحدث المنافقون عن مسألة تعدد الزوجات في الإسلام، ويظنون أن في هذه المسألة عذرٌ ومبرر للهجوم على الشريعة الإسلامية والانتقاص منها، وإن الحقيقة في مفهوم تعدد، ويستمرون في الحديث عن أن الإسلام قد سلب الكثير من حقوق المرأة وأعطاها للرجل الذي أباح له أن يتزوج أكثر من واحدة، إذ يرون أنه دين ظلم لها ولا يعاملها بالعدل.

والأسوأ من ذلك أنك لو حاولت إقناع أحدهم بالرجوع عن تلك المفاهيم المنحرفة لم يسمع لك ، لأنه يظن أنه من المجتهدين، وذلك مما جد في عصرنا ولم يكن في العصور السابقة أعني أن كل من هب ودب أصبح له حق الفهم للكتاب والسنة ولو لم يكن متخصصا في علوم الشريعة.

وقد قدمت أن فوائد من الإكثار من الذكر إخراج الذاكر من الظلمات إلى النور عند تفسير قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) . ولا أظن أن هناك ظلمة أعظم من انحراف المفاهيم التي عششت في عقول البعض .

*** *** ***

ثانياً : من الأمراض التي تصاب بها القلوب بسبب الذنوب والإصرار عليها : الكبر والحسد والحقد واحتقار الناس ونحوها من أمراض القلوب . ولا علاج لها إلا بالإكثار من الذكر .

ولهذا من أحسن ما قيل في فوائد الذكر : (الذكر له فائدتان، فائدةٌ تطهيرية وفائدةٌ تعطيرية، أحياناً أنت تغسل الإناء وتملؤه بماء الزهر ، تغسله أولاً وتملؤه بالعطر، فالغسل هدف تطهيري، وإملاءه بالعطر هدف تعطيري، فالمؤمن بالذكر يطهر ويزكو، تقول: لا يكذب. طهارة. لا يشك، لا يغتاب، لا ينحرف، لا يغش المسلمين، تقول ألف كلمة قبلها لا هذا تطهير، لكن لطيف. تعطير. حليم، رحيم، ودود، متواضع، هناك تطهير وهناك تعطير، الذكر يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والحَزن، ويجلب للقلب الفرح والسرور، الذكر يطهر ويعطر) .

*** *** ***

ولكن في حقيقة الأمر أن مسألة تعدد الزوجات أوسع بكثير من هذا الجدل القائم بشأنها، فالشريعة الإسلامية لم تبح التعدد إلا لحكمة بالغة قد تغفل عنها العقول والقلوب.

3- مفهوم التّجديد في الإسلام : إنّ مفهوم التّجديد في الشّريعة الإسلاميّة لا يعني إحداث البدع في الدّين، فهذا يدخل في نهي النّبي عليه الصّلاة والسّلام، فنحن نؤمن بأنّ الله سبحانه وتعالى قد بعث رسوله بالدّين الكامل الشّامل الذي عالج بأحكامه وتشريعاته جميع جوانب الحياة الإنسانيّة، وبالتّالي لا يحتاج هذا الدّين إلى أصولٍ أو مسائل مبتدعة و إنّما يحتاج إلى التّجديد بمعناه ومفهومه الحقيقي الذي أراده النّبي عليه الصّلاة والسّلام في الحديث الذي رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، فقد قال عليه السلام: (يبعث الله على رأس كلّ مئة سنة من يجدّد لهذه الأمّة دينها ينَها) [تخريج مشكاة المصابيح/ابن حجر العسقلاني: 163/1 - حسن]،

4- الحجاب : من المفاهيم الخاطئة التي يثيرها أعداء الإسلام رؤيتهم القاصرة لمفهوم الحجاب في الإسلام، فهم يرون أن الحجاب هو قيدٌ وسجن للمرأة المسلمة، وهو حاجز بنظرهم ضد مشاركتها في الحياة الاجتماعية، ويتناسون أن الحجاب قد ورد في جميع الشرائع السماوية.

ثالثاً : إن الذنوب التي تميت القلوب لها آثاراً حسية سيئة في حياة الناس من مصائب وأمراض كالكورونا : وتلك لا مفر منها إلا بالإكثار من الاستغفار ليمحوها الله تعالى فيرفع عن أهل ذكره البأساء والضراء لأن من أعظم أسباب البلاء الذنوب والمعاصي، فقد يكون ما أصابك من مصائب بسبب ذنب أتيته، قال تعالى: **(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)**. الشورى:(30) وقال تعالى: **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)**. الروم:(41)

قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي : فما زالت عن العبد نعمة الا لسبب ذنب ولا حلت به نقمة إلا بذنب كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة اهـ.

فبالتوبة والاستغفار يكشف البلاء بإذن رب الأرض والسماء، فإنه: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة.

ومن أسباب رفع الوباء والبلاء الإكثار من دعاء الله تعالى ، وعدم اليأس من رحمته، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ونخص هنا دعاء المكروب الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت.

***   ***   ***

رابعاً : الوصول إلى درجة القرب من الله تعالى والتلذذ بكثرة ذكره :

مهمة القلب أن يعرف الله وأن يتأثروهذا لا يكون إلا بذكر الله ، لأن أعظم فوائد الإكثار من الذكر أن يحبك الله، فإن من أحب شيئا أكثر من ذكره ، فحبنا لله تعالى وحبنا للدين وللرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن والسنة والأنبياء وللصحابة يجعلنا نكثر من ذكرهم .

قال أبو علي الدقاق رحمه الله : إذا قال العبد : لا إله صفا قلبه وحضر سره ، فيكون ورود قوله : إلا الله على قلب منقى وسر مصفى[96] .

96- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - حديث (2286) – نقلا عن إسلام ويب .

وقال العلامة المفسر ابن جزي[97]: **وللناس في المقصد بالذكر مقامان**: فمقصد العامة اكتساب الأجور، ومقصد الخاصة القرب والحضور، وما بين المقامين بون بعيد. فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب.

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : إن للذكر من بين الاعمال لذة لا يشبهها شئ فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفي به ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة ، قال مالك بن دينار : وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل ، فليس شئ من الأعمال أخف مؤنة منه ولا اعظم لذة ولا اكثر فرحة وابتهاجا للقلب [98].اهـ .

وتقد أن الذكر اللساني على أنواع كثيرة : ومنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والاستغفار، وغير ذلك.

والمراد هنا بيان أن لكل ذكر خاصيته وثمرته في حصول القرب من الله تعالى:

فأما التهليل : فثمرته التوحيد أعني التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن.

وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال.

وأما الحمد : والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك، فثمرتها ثلاث مقامات، وهي: الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة؛ فإن المحسن محبوب لا محالة.

وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتهما التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والثقة بالله.

وأما الأسماء التي معانيها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك فثمرتها المراقبة.

وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته. **وأما الاستغفار** فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة [99].

97-التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة لأبي القاسم الغرناطي:248/1..

98- الوابل الصيب (110/1) .

99- التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة لأبي القاسم الغرناطي:248/1. نقلا عن مقال : درر من تفسير ابن جزي الغرناطي (مقام الذكر) - د. عبد الهادي السلي – بتصرف .

خامساً : إن القلق الذي يصيب البشر في هذا العصر تعددت أسبابه وتنوعت مصادره ، فالبعض يقلق على رزقه وعلى مستقبله أو مستقبل أولاده والبعض يخاف من المجهول – كما يزعمون – هل سأمرض أو سأموت فجأة وييتم أولادي من بعدي ويعيشون حياة تعيسة من بعدي حينها يقال لكل هؤلاء قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد: 28] .

ويقال لهم قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**) رواه البخاري . ففي الإكثار من الكثير حياة القلب بالإيمان بالله تعالى والرضا بقدره وحسن الظن به في كل ما يقدره على عباده .

ومما يستفاد من الحديث – كما قال بعضهم - :إذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر، أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة، وأمره فرط، لم يقتد به، ولم يتبعه فإنه يقوده إلى الهلاك.

ويقال لهم قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : (**يقولُ اللهُ: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، و أنا معَهُ إذا ذكرَني، فإنْ ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم**)؛ رواه البخاري ومسلم .

ومن هنا قال بعض العلماء : (الذكر يورث القرب من الله عز وجل، فعلى قدر ذكرك لله يكون قربك منه، وكلما كنت أقرب إلى الله كنت أسعد الخلق، وعلى قدر الغفلة يكون البعد، وكلما كان العبد بعيداً عن ربه كان شقياً، قضية كالرياضيات واضحة جداً، وأكبر عقاب يناله الإنسان).

*** *** ***

المطلب الثالث

علامات الفائزين بتحصيل ثمار الذكر

إن من صدق في محاولة تحصيل الثمار السابقة لا بد أن يجد قدرا كبيرا من التغير في صلته بربه ومعاملته مع الناس ولكن لذلك علامات لكي لا يدعي البعض أنه وصل إليها بينما واقعه يقول غير ، ويمكننا أن نلخصها في ثلاث نقاط كبيرة :

أولاً : امتلاء القلب بحب الله تعالى : ولصاحب هذا القلب علامات، ومنها :[100]

1/ إنَّ الذَّاكِرَ لله تَعَالى أكْثَرُ النَّاسِ حُبًّا للقَاءِ الله ومُلاقَاتِهِ، وذَلِكَ لكَثْرَةِ تَعَلُّقِهِ برَبِّهِ ومُدَاوَمَتِهِ لذِكْرِهِ تَعَالى، وقَدْ صَحَّ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ : (مَنْ أحَبَّ لِقَاءَ الله أحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

2/ إنَّ الذَّاكِرَ لله تَعَالى مِنْ أقْوَى النَّاسِ إيْمَانًا بالقَضَاءِ والقَدَرِ، وأفْضَلِهِم عِنْدَهُ تَسْلِيْمًا واسْتِرْجَاعًا، كَمَا أنَّهُ أعْرَفُ الخَلْقِ بحَقِّ الله عِنْدَ تَقْدِيْرِ المَصَائِبِ مِنْ غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالى : (**الَّذِينَ إذَا أصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لِلَّهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ**) (البقرة (156-157) .

3/ أنَّ الذَّاكِرَ لله تَعَالى أقْرَبُ النَّاسِ تَوْبَةً إلى الله مِنْ غَيْرِهِ، كَمَا أنَّهُ أصْدَقُهُم ذِكْرًا لله تَعَالى عِنْدَ مُوَاقَعَةِ الذُّنُوْبِ المَعَاصِي، كَمَا قَالَ تَعَالى : «**وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**» (آل عمران : 135) .

4/ أنَّ الذَّاكِرَ غَرِيْبٌ بَيْنَ إخْوَانِهِ، فَرِيْدٌ بَيْنَ أقْرَانِهِ، مُسْتَوْحِشٌ مِنْ قِلَّةِ الذَّاكِرِيْنَ مِنْ أهْلِ زَمَانِهِ، بَلْ هُوَ قَلِيْلٌ مِنْ كَثِيْرٍ، كَمَا قَالَ تَعالى :(**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**) (سبأ : 13).

ولما كان لهم السبق على غيرهم في الدنيا كانوا هم أهل السبق في الآخرة قال تعالى : (**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الأخِرِينَ**) (الواقعة (10-14) .

وقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : (بَدَأ الإسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) أخْرَجَهُ ابنُ مَاجَه وغَيْرُهُ، وهُوَ حَسَنُ الإسْنَادِ .

100- متممة المائة على فوائد الذكر لابن القيم- تأليف الدكتور ذياب الغامدي – موقع ملتقى - اهل التفسير.

في الحديث دلالة على استيحاشهم من الغفلة وأهلها وبحثهم عن مجالس الذكر وأهله .

*** *** ***

ثانياً : التبتل إلى الله تعالى : قال تعالى : (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) سورة المزمل (8).

قال السعدي رحمه الله تعالى : أي: انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه.

وللرازي رحمه الله تعالى كلام بديع في مفهوم التبتل إلى الله تعالى وهو قوله :

قوله : (**وتبتل**) أي انقطع عن كل ما سواه إليه فالمشغول بطلب الآخرة غير متبتل إلى الله تعالى ، بل التبتل إلى الآخرة, والمشغول بعبادة الله متبتل إلى العبادة لا إلى الله ، والطالب لمعرفة الله متبتل إلى معرفة الله لا إلى الله ، فمن آثر العبادة لنفس العبادة أو لطلب الثواب أو ليصير متعبدا كاملا بتلك العبودية للعبودية فهو متبتل إلى غير الله ، ومن آثر العرفان للعرفان فهو متبتل إلى العرفان ، ومن آثر العبودية لا للعبودية بل للمعبود وآثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف ، فقد خاض لجة الوصول ، وهذا مقام لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال ، ومن أراده فليكن من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر .

وقال الساحلي : وقال أحد العلماء : لو انقطعت عن الخلق لفتح الله لك باب الأنس به تعالى ، لأن أولياء الله قهروا أنفسهم بالخلوة والعُزلة ، فسمعوا من الله وأنسوا به ، فإن أردت أن تستخرج مرآة قلبك من الأكدار فارفض ما رفضوا - وهو الأنسُ بالخلق - وانس ما جرى لفلان واتفق لفلان ؟ ولا تقعد على أبواب الحارات فمن استعد استمد ، فإذا هيأ لك الإستعداد فتح لك باب الإستمداد ، ومن أحسن قرع الباب فُتح له ، فرب طالب أساء قرع الباب فرُد لسوء أدبه ولم يُفتح له .

وقال أحد العلماء: لا يُحسد إلا عبدٌ قد لُف في ملابس التقوى ، هذا هو العيش وما أطيب عيش المحب مع الحبيب إذا لم يطلع عليه رقيب ! فإن أحب أن يطلع عليه رقيب فما صدق في حُبه ، وكل من أراد أن يعلم أحد بحاله فقد خُدع .

يا عبدالله دينك هورأس مالك ، فإن ضيعته ضيعت رأس مالك ، فاشغل لسانك بذكره ، وقلبك بمحبته ، وجوارحك بخدمته ، واحرث وجودك بالمحارث حتى يجيء البذر فينبت ، ومن فعل بقلبه كما يفعل الفلاح بأرضه أنارقلبه .

*** *** ***

ثالثاً : أن ينال محبة الناس بسبب تواضعه وحسن عشرته :

وللوصول إلى ذلك لا بد من الإقلاع عن مدح النفس ، وللأسف يوجد أفراد بعض الجماعات الإسلامية، كلٌ يمدح ذاته، كلٌ يدعّي أنه على حق، أو أنه وحده على حق، كل يطعن بالآخرين، الأمم، الشعوب، المجتمعات، الجماعات، الدعوات، الأفراد، النساء، هذه المرأة تثني على بناتها، وعلى بيتها، وعلى زوجها، وعلى تربيتها بشكل غير واقعي.

فإذا أردت أن يحبك الناس أغفل نفسك، إذا أردت أن يحبك الناس تحدث عن ربك، والله سبحانه وتعالى لا يظلمك، يرفع شأنك، ويعلي قدرك، ويجعل ذكرك عطراً بين الناس، أقلع عن هذه العادة.

والحقيقة أن الإنسان لضعف إخلاصه يستجدي المديح من الناس، كلما علا مستوى الإخلاص استغنيت عن مديح الناس، وكلما ضعف الإخلاص استجديت المديح استجداء إلى درجة مضحكة.

قال بعض العلماء: الإسلام كالهواء للإنسان، لا يستطيع إنسان أن يحتكره، ولا جماعة، ولا طائفة، ولا مذهب، ولا قوم، ولا شعب، ولا قارة، ولا عصر، ولا مصر. الله جلّ جلاله وزع المؤمنين الصادقين في كل مكان، ووزع الدعاة الصادقين في كل مكان توزيعاً زمنياً وجغرافياً. فلذلك: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ .

وليس الأمر قاصرا على ما ذكرت بل إن المشغول بربه تعالى سيحدد كيف تكون جالسه وهكذا يجب أن المجتمع كله ومن هنا جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تنفر الناس من مجالس الغفلة .

*** *** ***

الخاتمة

لقد عالجت هذه الرسالة بفضل الله تعالى أهم ما يجب على المسلم أن يوليه العناية الكافية وأن يتفقه فيه وتكون الرغبة الكاملة للقيام به مع انشراح الصدر وشوق القلب وهو (علة الحياة بكاملها، الذكر والشكر سر هذه الحياة، وعلة وجودها، أراد الله عز وجل أن يذكر ويشكر،فأوجد هذه العوالم العلوية والسفلية، وأعدها وخلق آدم وحواء، وإلى الأرض أهبطهما، ليلدا ويتناسلا؛ ليكثر بنوهم، وذلك من أجل أن يذكر عزوجل ويشكر.فلو سئل أحدنا عن علة الحياة لم خلقها الله؟ فأجبنا بأنها ذكر الله وشكره، لكان الجواب صحيحاً) [101].

وهذا المعنى ورد في قوله تعالى : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) سورة البقرة (151) .

قال القرطبي : أي كما فعلت بكم هذا من المنن التي عددتها عليكم فاذكروني بالشكر أذكركم بالمزيد ; لأن في ذكركم ذلك شكرا لي ، وقد وعدتكم بالمزيد على الشكر.

وروى أصحاب السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (يا معاذ! إني أحبك فلا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

ولما كانت هذه الرسالة مبنية على الترغيب من أولها إلى آخرها أحببت أن أقتدي بالقرآن فأُتبع الترغيب بالترهيب ، وقد وردت نصوص كثيرة في القرآن والسنة تحذروتخوف من إهمال الذكر والغفلة عن الله تعالى.

أما الآيات فهي كثيرة نكتفي بآيتين [102] :

الآية الأولى قوله تعالى : (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) الزخرف (36) والمراد بقوله (ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ) الذكر المعروف على قول قتادة ، وقيل : المراد القرآن الكريم ، والعشا في العين : ضعف بصرها . والمراد هاهنا عشا البصيرة ، و تحقيقه أن الشهوة و الغضب والوهم والخيال كلها تدعو الإنسان إلى الاشتغال بالجسمانيات وذلك ضد الاشتغال بخدمة الله تعالى، والشيء كلما كان إلى أحد الضدين أقرب كان عن الضد الآخر أبعد.

101- الذكروالشكر - للشيخ أبوبكر الجزائري – محاضرات مفرغة – إسلام ويب – بتصرف .

102- شرف الذكرومقاصده – الدكتورة أمينة هموري – موقع مغرس - بتصرف.

ولهذا كانت العقوبة (**نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**) :

(**نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا**) أي نتح له شيطانا ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض وهو القشر الأعلى.

(**شَيْطَانًا**) **وهو** : **شيطان من الجن** يغويه بالتسويل والتزيين لما انهمك فيه من اللذات، وحرص عليه من الزخارف، أو بالشبه والأباطيل المغوية لما اعتكف عليه بهواه من دينه، **أو شيطان من الإنس** يغويه، ويشاركه في أمره، ويجانسه في طريقه، ويبعده عن الحق.

*** *** ***

الآية الثانية قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ *وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**) المنافقون (9-11) .

قال السعدي : يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره، فإن في ذلك الربح والفلاح، والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة.

وهكذا، فإن هاتين الآيتيت تبرزان مدى اقتران الإعراض عن ذكر الله بمفاسد تلحق العبد سواء أكانت دنيوية عبر عنها تعالى بأشدها و هو ضنك العيش وضيقه أم أخروية وهي الحشر يوم القيامة أعمى، ولا شك أن هذا أعظم الخسران.

*** *** ***

وأما الأحاديث فيكفينا حديث واحد في التنفير عن الغفلة :

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (ما من قومٍ يقومونَ من مجلسٍ لا يذكرونَ اللهَ فيهِ إلا قامُوا عن مثلِ جيفةِ حمارٍ،وكان لهم حسرةٌ) [103]**.وفي**

103- رواه أحمد و أبو داود والنسائي في الكبرى وصحح الألباني في صحيح سنن أبي داود (4855) (نقلا عن الدرر السنية – الموسوعة الحديثية) .

رواية (ما اجتمع قومٌ ثمَّ تفرَّقوا عن غيرِ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وصلاةٍ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلَّا قاموا عن أنتنِ جيفةٍ) [104].

وفي رواية : (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ) [105].

قال الأستاذ الدكتور خالد فهمي [106] :

هذا حديث يعيد للفكرة الإسلامية بعض تمايزها عن غيرها من التصورات والأفكار؛ ذلك أنه يفتح آفاقا للاجتماع الإنساني الرشيد عندما يقرر أنه إذا كان الاجتماع الإنسانى ضرورة بحكم طبيعة الإنسان و طبيعة الحياة معا فإن من الخير أن يكون ذلك الاجتماع محكوما بما يرضى الله تعالى من مفتتحه إلى منتهاه ، وهو المعنى الضمنى الكامن وراء تركيب الحديث الشريف بالأسلوب الخبرى الدال على الأمر ، الناصح لمجموع المؤمنين ، كأنه يقول لهم : لا تجتمعوا و تتفرقوا بعد الاجتماع إلا ولزمكم ذكر الله تعالى ، ومعلوم أن العدول من الأمر إلى الإخبار لتحقيق الأمر أبلغ من الوصول إلى المراد بصيغة الأمر مباشرة، فالإخبار هنا أوسع دائرة فى عموم وصوله للمأمورين ، مخاطبين أو غائبين ، و فى هذا العدول أيضا جانب نفسى مهم يتمثل فى عدم المواجهة بالأمر ، وهو منهج تربوى يعين على إتيان الفعل من غير تكرير ، أو إخجال.

و الحديث لم يعين نوعا للذكر المأمور به ، وهو ما يعنى أن كل مجموعة من المجتمعين يلزمها حياطة اجتماعهم بذكر الله تعالى ، بأى طريق كان من هذا الذكر ، حمدا لله تعالى ، أو شكرا ، بما أثر من أحاديث حمده و الثناء عليه ، أو بشئ من الذكر الحكيم ، أو بالاجتماع و التداول وفق شرائط الشريعة .

*** *** ***

104- أخرجه النسائي في السنن الكبرى – حديث رقم (9886)، والطيالسي في ((المسند)) (1863) واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان – حديث رقم (1570) وقال عنه السخاوي : رجاله رجال الصحيح على شرط مسلم- القول الديع – ص (221) (نقلا عن الدرر السنية – الموسوعة الحديثية) .

105/ رواه الترمذي في السنن (رقم/3380) وبوب عليه بقوله: باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله. وقال عقب الرواية : هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى قوله : (ترة) : يعني حسرة وندامة.

106- مقال بعنوان : ذكر الله نور – موقع منارات - (باختصار شديد).

و الحديث يسعى إلى الأمر بالذكر ، أو إلى تحريم الاجتماع و التفرق من غير ذكر الله تعالى عن طريق استعارة تمثيلية ظاهرة ، فى قوله صلى الله عليه و سلم :(إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار)، و هى صورة تجلب النفور لشناعتها.

الحديث يصل بعبقرية بلاغية إلى تحريم خلو المجالس من ذكر الله تعالى بما يستحضره من صورة الحمار الميت ، أو من صورة جيفة الحمار و قد قام عليها قوم أو مجموعة من الناس ، و كأنه يقرر أن الطبيعي هو إنكار ذلك المشهد تماما ؛ ذلك أنه لا يستطيع أحد أن يتحمل هذا المشهد

ثم يكثف الحديث أمر هذه الحرمة عن طريقة ما يسمى فى علم المعانى ببلاغة الوصل الناشئ من توظيف العطف بالواو :(وكان ذلك المجلس عليهم ترة) و الوصل هنا حقق العديد من المعانى فى الحديث ، حقق دف التوهم ؛ أى أنه نفى أن تكون الصورة التمثيلية لمجرد تكريه الأمر المشار إليه ، و إنما أكد حرمته ؛ ذلك أن هذا الجزء من الحديث رتب الإثم على ذلك النوع من المجالس حين تخلو من ذكر الله تعالى. وهو المعنى المفهوم من استعمال لفظة " ترة" وهى بمعنيان ؛ هما النقص ، و التبعة والإثم ، وهو ما يعنى أن الجماعة حين تجلس هذا النوع من المجالس تأثم ، و تنقص من جهة الخير.

*** *** ***

الخاتمة

نظم فضائل الذكر في أبيات يسيرة [107]

وكن ذاكراً للهِ في كلِّ حالةٍ	فليس لذكرِ الله وقتٌ مقيّدُ
فذِكْرُ إلهِ العرشِ سرّاً ومعلناً	يُزيلُ الشقا والهمَّ عنكَ ويَطردُ
ويَجْلِبُ للخيراتِ دنيا وآجلا	وإنْ يأْتكِ الوسواسُ يوماً يشرّدُ
فقد أخْبَرَ المختارُ يوماً لصحبهِ	بأنَّ كثيرَ الذكرِ في السبقِ مفْرِدُ
ووصّى معاذاً يستعينُ إلهَهُ	على ذِكْرِهِ والشكرِ بالحسنِ يعْبدُ
وأوصى لشخصٍ قد أتى لنصيحةٍ	وقد كان في حَمْلِ الشرائعِ يجهدُ
بأنْ لا يزال رطباً لسانُكَ هذه	تعينُ على كلِّ الأمورِ وتُسعدُ
وأخْبَرَ أنَّ الذِّكرَ غَرْسٌ لأهلهِ	بجنَّاتِ عدْنٍ والمساكنُ تُمهدُ
وأخْبَرَ أنَّ الله يَذكُرُ عبدَه	ومعْهُ على كلِّ الأمورِ يُسدِّدُ
وأخْبَرَ أنَّ الذِكْرَ يَبقى بجنةٍ	وينقطعُ التكليفُ حين يخلّدوا
ولو لم يكن في ذكرهِ غير أنه	طريقٌ إلى حبِّ الإلهِ ومُرْشِدُ
وينهى الفتى عن غيبةٍ ونميمةٍ	وعن كلِّ قولٍ للديانةِ مُفسدُ
لكان لنا حظٌّ عظيمٌ ورغبةٌ	بكثرةِ ذِكْرِ الله نِعْمَ المُوحَّدُ
ولكننا من جهلنا قلَّ ذكرُنا	كما قلَّ منّا للإلهِ التَّعَبُّدُ

اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُطِعْ فِيَّ عَدُوًّا حَاسِدًا، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي كُلُّهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي عَلَى غِرَّةٍ، أَوْ أَنْ تَذَرَنِي فِي غَفْلَةٍ، أَوْ تَجْعَلَنِي مِنَ الْغَافِلِينَ [108].

تمَّتْ الرسالة ولله الحَمْدُ والمنَّةُ

107/ هذه الأبيات للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ذكرها في شرحه على منظومته السير إلى الله والدار الآخرة .

108- حديث نبوي قال في مجمع الزوائد (رجاله رجال الصحيح) - (124/6) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد – حديث رقم (538) -الموسوعة الحديثية – الدرر السنية .